بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومضات في فهم الآيات (٧)

من سورة الفرقان – إلى سورة السجدة

رقم الناشر الدولي: ٧-٦٠٥-٠-٨٥٩٩٩-٨٧٩

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: ٧٦٧/د.ع/٢٠٢١م

المحتوى

الموضوع الصفحة

ومضات في فهم الآيات (٧) ١

سورة الفرقان ترتيبها (٢٥) آياتها (٧٧) ٥

(١-١٦) تأكيد وجوب إنذار الناس، ودحض حجج وذرائع المشركين، والمفاضلة بين عذابهم في الآخرة وجزاء المؤمنين. ٥

(١٧-٣٤) الإشارة إلى تكذيب آلهة المشركين لهم في الآخرة، وتأكيد بشرية الرُّسل، وندم المشركين لمصاحبتهم لبعض، والرد على حجج وذرائع المشركين. ٩

(٣٥-٥٢) ضرب الأمثال لتكذيب الأمم وعقوبتهم، وعدم اتعاض مشركي العرب بما حلّ بهم، والإشارة إلى بعض آياته، والأمر ببذل الجهد لإقامة الدين. ١٢

(٥٣-٦٢) الإشارة إلى المزيد من آياته تعالى، واستنكاره عبادة المشركين لسواه، والإشارة إلى استكبار المكذبين. ١٦

(٦٣-٧٧) المفاضلة بين صفات عباد الرحمن والمكذِّبين، والإشارة إلى جزء الفريقان. ٢٠

سورة الشعراء ترتيبها (٢٦) آياتها (٢٢٧) ٢٤

(١-٢٨) القسم بآيات القرآن العزيز، والاستنكار على كُفر الكافرين، والإشارة إلى بعض آياته ومعجزاته تعالى، وإلى حوار موسى (ع‌س) مع فرعون.. ٢٤

(٢٩-٦٨) تَوَعُّد فرعون لموسى (ع‌س) وابطال سحر السحرة، وثباتهم على الإيمان، ونجاة موسى (ع‌س) وقومه، وإهلاك فرعون وجنده. ٢٨

(٦٩-١٠٤) ضرب المثل لتكذيب الأمم بقوم إبراهيم (ع‌س) والإشارة إلى اختصامهم وجزائهم في الآخرة. ٣٢

(١٠٥-١٤٠) ضرب المثل لتكذيب الأمم بقوم نوح وعاد والإشارة إلى عقوبتهم في الدنيا قبل الآخرة عبرةً للمعتبرين. ٣٥

(١٤١-١٧٥) ضرب المثل لتكذيب الأمم بقوم صالح وقوم لوط، والإشارة إلى عقوبتهم في الدنيا عبرةً للمعتبرين. ٣٩

(١٧٦-٢٠٣) ضرب المثل بتكذيب قوم شعيب، والإشارة إلى عقوبتهم، وتأكيد أنّ القرآن تنزيلٌ من رب العالمين، والإشارة إلى سننه تعالى في المكذِّبين. ٤٣

(٢٠٤-٢٢٧) الاستنكار على استعجال العذاب، وتأكيد أن القرآن من رب العالمين، ولا تستطيعه الشياطين، وبيان الذين تتنزل عليهم الشياطين. ٤٧

سورة النمل ترتيبها (٢٧) آياتها (٩٣) ٥١

(١-١٤) القسم بآيات الكتاب المبين، وإنّه هدى وبشرى للمؤمنين، وأشار تعالى إلى مكان اصطفاء موسى (ع‌س) وتكذيب فرعون وقومه وعقوبتهم. . ٥١

(١٥-٣١) الإشارة إلى مِنحِه تعالى لداوود وسليمان (ع‌س) وبيان جانب من قصّة سليمان (ع‌س) وملكة سبأ والهدهد، وأمرهم أن يأتوهُ مسلمين. ٥٥

(٣٢-٤٤) استشارة الملكة قومها، واستنكار سليمان (ع‌س) الهدية، وعزمه على قتالهم، والأمر بإحضار عرش الملكة، وانبهارها بالصرح وإعلان إسلامها. ٥٨

(٤٥-٥٩) ضرب المثل لتكذيب الأمم بقوم صالح ولوط (ع‌س) والإشارة إلى عقوبتهما في الدنيا. ٦٢

(٦٠-٧٥) محاجّة الكافرين والمشركين، والإشارة إلى بعض آياته تعالى الدالة على ألوهيته وربوبيته ووحدانيته. ٦٦

(٧٦-٩٣) الإشارة إلى بعض خصائص القرآن العزيز، وتأكيد أن الهداية لله وحده، والإشارة إلى أَمارة من أمارات الساعة، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين. ٧٠

سورة القصص ترتيبها (٢٨) آياتها (٨٨) ٧٥
(١-١٣) القسم بأن القرآن العزيز مبينًا للحق إشارة إلى سننه تعالى بنصر رسله والمؤمنين في الدنيا والآخرة، وضرب المثل بموسى (ع‌س) وفرعون. ٧٥
(١٤-٢٢) الإشارة إلى قتل موسى(ع‌س) لرجل من فرعون وندمه واستغفاره، وعزم فرعون على قتله، وهروبه لمدين. ٧٩
(٢٣-٢٨) وُصول موسى (ع‌س) لمدين، وسقيه غنم المرئيتين، وعرض شعيب تزويجه إحدى ابنتيه مقابل خدمته لثمان أو عشر سنين. ٨٢
(٢٩-٣٧) تَوجُه موسى (ع‌س) مع أهله لمصر، وتكليفه بحمل الرسالة عند جبل الطور، وشفاعته لأخيه هارون (ع‌س) ليكون عونًا له. ٨٤
(٣٨-٤٦) ادعاء فرعون الألوهية واستكباره وجنوده، ومضي سننه تعالى فيهم، وتأكيد أنّ الإخبار عن الأمم السابقة دليل على صدقه ﷺ. ٨٧
(٤٧-٥٦) فَضح سلوك كفّار مكّة المكرمة، وبيان ثواب من آمن من أهل الكتاب، وتأكيد أن أمر الهداية لله وحده. ٩٠
(٥٧-٧٠) دحض حجج مشركي مكّة المكرمة، وبيان سننه تعالى، وحال المشركين يوم القيامة إلّا من آمن، وتأكيد أن الخلق والاختيار له وحده. ٩٣
(٧١-٧٨) ضرب المثل لحسن تدبيره تعالى، وتحذير المشركين من يوم القيامة، وضرب المثل بكفر وبغي قارون. ٩٧
(٧٩-٨٨) الحض على عدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا، وتأكيد أنّ الآخرة للمحسنين، والإشارة لوعده تعالى لرسوله ﷺ، والتحذير من المعاصي..... ١٠٠
سورة العنكبوت ترتيبها (٢٩) آياتها (٦٩) ١٠٤
(١-١٣) القسم بامتحان الناس في الدنيا وبيان غايته، والتأكيد على بعض الثوابت، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين. ١٠٤
(١٤-٢٧) ضرب المثل لجدل قوم نوح وإبراهيم (ع‌س) وبيان سننه تعالى فيهم، ونعمه على رُسُله..... ١٠٧
(٢٨-٣٨) ضرب المثل لإصرار الأمم الكافرة على الكفر، والإشارة إلى سننه تعالى فيهم. ١١١
(٣٩-٤٩) ضرب المثل لكفر الكافرين وعقوباتهم، والأمر بإقام الصلاة ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، والتدليل على صدق الرسول ﷺ. ١١٤
(٥٠-٦٠) دحض حجج الكافرين وتوعدهم الآخرة، وحث المؤمنين على الصبر وبيان جزائهم. ١١٨
(٦١-٦٩) الإشارة إلى تناقض أفهام الكافرين، والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، والرد على زعم الكفرة وتوعدهم، وبيان جزاء المؤمنين. ١٢٠
سورة الروم ترتيبها (٣٠) آياتها (٦٠) ١٢٤
(١-١٦) يقسم تعالى بانتصار الروم بعد الهزيمة، والإشارة لبعض آياته وسننه، والتحذير من يوم القيامة، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين. ١٢٤
(١٧-٢٧) للنجاة في الآخرة أمر تعالى المؤمنين بالتسبيح والصلاة، ولتعزيز إيمانهم أشار إلى بعض نِعمه وآياته. ١٢٧
(٢٨-٣٧) تأكيد وحدانيته تعالى، واتباع الظالمين أهوائهم، والأمر بالالتزام بدينه وعدم التفرق، وضرب المثل لتقلب إيمان الناس. ١٣١
(٣٨-٤٧) الإشارة لبعض سبل النجاة في الدارين، ولعجز الشركاء، وأسباب ظهور الفساد في الأرزاق في البر والبحر، وبعض آياته تعالى وسننه. . ١٣٤
(٤٨-٦٠) الإشارة لبعض آياته تعالى، وتأكيد أنّ الهداية والضلال له وحدة، والإشارة لحوار المؤمنين والكافرين يوم القيامة، والأمر بالصبر على الكافرين. ١٣٨
(١-١١) القسم بآيات القرآن الحكيم، والإشارة لبعض صفات المحسنين والمُضلين وجزائهم، والتذكير ببعض آياته، والاستنكار على كفر الكافرين.... ١٤٣
(١٢-١٩) الإشارة لوصاياه تعالى للقمان، ووصايا لقمان لابنه. ١٤٦
(٢٠-٢٨) الإشارة لبعض ما سخره تعالى، ومحاجة الكافرين، وتأكيد أنّ الفلاح في الاستسلام لهديه تعالى، والإشارة إلى عظيم خلقه وعلمه. ١٥٠

(٢٩-٣٤) الإشارة إلى بعض آياته تعالى، وضرب المثل لنكث الكفار إيمانهم، والتحذير من اليوم الآخر، والإشارة إلى سعة علمه تعالى. ١٥٤

سورة السجدة ترتيبها (٣٢) آياتها (٣٠) ١٥٧

(١-٩) القسم بتنزيل الكتاب العزيز من رب العالمين، وبيان الغاية منه، والتذكير ببعض صفاته تعالى وآياته. ١٥٧

(١٠-٢٢) الإشارة لجدل الكافرين وأبطل حججهم، وبيان صفات المؤمنين وسننه تعالى في الكافرين وعقوبتهم. ١٦٠

(٢٣-٣٠) الإشارة للاستعداد لفساد بني إسرائيل الأول، ولبعض آياته تعالى، والاستنكار على تكذيب الكافرين، وتوعدهم الآخرة. ١٦٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفرقان ترتيبها (٢٥) آياتها (٧٧)

(١-١٦) تأكيد وجوب إنذار الناس، ودحض حجج وذرائع المشركين، والمفاضلة بين عذابهم في الآخرة وجزاء المؤمنين.

تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴿١﴾ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِى إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورا ﴿١٣﴾ لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً

كَثِيراً ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيراً ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً ﴿١٦﴾

أكّد تعالى قائلًا: {تَبَارَكَ} وتزكى وتفضّل تعالى {الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ} أي القرآن العزيز الذي فرق تعالى به بين الحق والباطل {عَلَى عَبْدِهِ} ورسوله ﷺ {لِيَكُونَ} ولتكونوا {لِلْعَالَمِينَ} إنسهم وجنّهم {نَذِيراً} من عقوبته في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وقد أكّد تعالى أنه أُرسِل رسوله ﷺ للناس جميعًا لقوله تعالى في سورة الأعراف: {قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...}﴿١٥٨﴾ وهو تعالى {الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وله تعالى الخلق والأمر فيهما {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً} أبدًا {وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ} قطعًا {وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} دقيقًا منضبطا، ثمّ ابطل تعالى زعم المشركين فقال أولًا: {وَاتَّخَذُوا} أي المشركين {مِن دُونِهِ} تعالى {آلِهَةً} كذبًا وزورًا، فآلهتهم أولًا: {لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً} أبدًا، ثانيًا: {وَهُمْ يُخْلَقُونَ} ويُنشرون، ثالثًا: {وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ} أي للمشركين {ضَرّاً} يضرونهم به {وَلا نَفْعاً} رابعًا: {وَلا يَمْلِكُونَ} أبدًا {مَوْتاً} لشيءٍ حي {وَلا حَيَاةً} لشيءٍ ميتٍ، خامسًا: {وَلا} يملكون {نُشُوراً} ولا بعثًا ولا حسابًا ولا جزاءً، فكيف يكون العاجز شريكًا للقادر على كل شيء؟ ثانيًا: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا} أي القرآن {إِلا إِفْكٌ} وكذبٌ وتلفيقٌ {افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ} وعلى كتابته {قَوْمٌ آخَرُونَ} من الأعاجم {فَقَدْ جَاؤُوا} واقترفوا {ظُلْماً} وحيفًا {وَزُوراً} رابعًا: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ} وخرافات

وحكايات {الأَوَّلِينَ} يعنون قصص الأنبياء {اكْتَتَبَهَا} وألفّها {فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ} ويُخبر بها {بُكْرَةً} فجرًا {وَأَصِيلاً} غروبًا، فردّ تعالى عليهم قائلًا: {قُلْ} وقولوا: بل {أَنزَلَهُ} تعالى {الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى} انضباط واستدامة {السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} في أفلاكها دون خلل لقوله تعالى في سورة فاطر: {إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}﴿٤١﴾ {إِنَّهُ} تعالى {كَانَ} قبل خلق الخلق {غَفُوراً} للتائبين {رَّحِيماً} بخلقه يرزق مؤمنهم وكافرهم حُجةً عليهم في الدنيا والآخرة.

خامسًا: {وَقَالُوا} أولًا: {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ} كبقية الناس؟ ثانيًا: {وَيَمْشِى فِى الأَسْوَاقِ} ثالثًا: {لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} رابعًا: {أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ} ليعلو شأنه ومكانته، خامسًا: {أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا} نعيمًا ووجاهةً، سادسًا: {وَقَالَ الظَّالِمُونَ} الجاحدون المستكبرون {إِن تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلاً مَّسْحُوراً} فاستنكر تعالى عليهم قائلًا: {انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ} والذرائع {فَضَلُّوا} أي فأضلهم تعالى بسننه وحجب الهداية عنهم لقوله في سورة البقرة: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾ {فَلا يَسْتَطِيعُونَ} ولا يجدون للهُدى أبدًا {سَبِيلاً} ولا طريقًا.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {تَبَارَكَ} وتكرم وتفضل تعالى {الَّذِى إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن} كل {ذَلِكَ} الذي نعتوا {جَنَّاتٍ} في الأرض {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ

قُصُوراً} ثمّ فضحهم تعالى قائلًا: {بَلْ} الحقيقة إنهم {كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ} والبعث والحساب والجزاء، فتوعدهم قائلًا: {وَأَعْتَدْنَا} ورصدنا {لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ} جهنّم {سَعِيراً} {إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} نادتهم و {سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً} حنقا وغضبًا {وَزَفِيراً} غليظًا {وَإِذَا أُلْقُوا} وغمسوا فيها و {مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ} مسلسلين مع أمثالهم {دَعَوْا هُنَالِكَ} وقالوا: {ثُبُورا} وهلاكًا، فيقال لهم {لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً} {وَادْعُوا ثُبُوراً} وهلاكًا {كَثِيراً} لكثرة أصناف العذاب في جهنم لقوله تعالى في سورة الحاقة: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴿٣٢﴾} ثمّ وبخهم تعالى وأنّبهم قائلًا: {قُلْ أَذَلِكَ} العذاب في جهنّم {خَيْرٌ} لهم {أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} في الآخرة والتي {كَانَتْ لَهُمْ} قبل خلق الخلق {جَزَاء وَمَصِيراً} ونزلًا كريما {لَهُمْ فِيهَا} كل {مَا يَشَاؤُونَ} ويشتهون {خَالِدِينَ} فيها أبدًا و {كَانَ} ذلك النعيم {عَلَى رَبِّكَ وَعْداً} حقًا وجودًا {مَسْؤُولاً} موثوقًا.

الملخص: -

أكّد تعالى وجوب إنذار الناس، ودَحض حُجج وذرائع المشركين، وفاضل تعالى بين عذابهم في الآخرة وبين نعيم المؤمنين.

(١٧-٣٤) الإشارة إلى تكذيب آلهة المشركين لهم في الآخرة، وتأكيد بشرية الرُّسل، وندم المشركين لمصاحبتهم لبعض، والرد على حجج وذرائع المشركين.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَؤُلاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِى لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْراً وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ﴿١٩﴾ وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلا يَأْتُونَكَ

بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٣٤﴾

أشار تعالى إلى تبرؤ آلهة المشركين منهم يوم القيامة قائلًا: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ} تعالى لآلهتهم {أَأَنتُمْ} حقًا {أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَؤُلاء} عن ديني وهديّ {أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ} والمنهج والطريق {قَالُوا سُبْحَانَكَ} وتقدس شأنك فـ {مَا كَانَ يَنبَغِى} ولا يحق {لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء} أبدًا {وَلَـكِن} ضلُّوا بسبب أن {مَّتَّعْتَهُمْ} وأنعمت عليهم {وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ} والتنزيل والوعظ والعِبر {وَكَانُوا قَوْماً بُوراً} لا ينفعهم الذكر ولا الآيات ولا المعجزات ولا الدلائل ولا البراهين، فيقال لهم: {فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ} وتدعون {فَمَا تَسْتَطِيعُونَ} الآن {صَرْفاً} وبعدًا عن جهنم {وَلا} تجدوا لكم {نَصْراً} ولا عونًا ولا مُنقذًا، ثمّ حذّر تعالى الناس قائلًا: {وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ} بكفره وشركه {نُذِقْهُ} في جهنّم {عَذَاباً} عظيمًا {كَبِيراً} وفي هذه الآية دلالة واضحة على استنطاقه تعالى للأصنام لتشهد على المشركين، كما وستشهد الأرض على البشر يوم القيامة لقوله تعالى في سورة الزلزلة: {إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا}﴿٥﴾ وقد أشار تعالى إلى شهادة أعضاء الإنسان عليه لقوله تعالى في سورة النور: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٢٤﴾.

ثمّ ردّ تعالى على حجج الكافرين قائلًا أولًا:{ وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} أي من آدم إلى خاتم المرسلين (عس) { إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ} كبقية البشر{ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} وامتحانًا واختبارا ليتبيّن{ أَتَصْبِرُونَ} على شركهم وأذاهم{ وَكَانَ رَبُّكَ} بكل شيءٍ عالمًا{ بَصِيراً} ثانيًا:{ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ} رأي عين لنؤمن{ أَوْ نَرَى رَبَّنَا} لنصدقكم{ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا} حقًا{ فِي أَنفُسِهِمْ} واستعلوا{ وَعَتَوْ عُتُوّاً} وإعراضًا{ كَبِيراً} عظيمًا، ثمّ أكّد قائلًا:{ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ} عند نزع الأرواح وفي الآخرة فـ{ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ} أبدًا{ لِّلْمُجْرِمِينَ} المستكبرين الجاحدين{ وَيَقُولُونَ} أي الملائكة لهم{ حِجْراً} لا خروج منه{ مَّحْجُوراً} أبدًا{ وَقَدِمْنَا إِلَى} كل{ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ} يرجون نفعه يوم القيامة{ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء} لا قيمة له{ مَّنثُوراً} باطلًا مدحوضًا، ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً} ونزلًا{ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} ونعيمًا.

ثمّ أشار تعالى إلى أهوال يوم القيامة قائلًا: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء} منفطرة {بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلاِئكَةُ} من السماء {تَنزِيلاً} مروعًا رهيبًا، فـ {الْمُلْكُ} والأمر{ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} بتمامه {لِلرَّحْمَنِ} الواحد الأحد {وَكَانَ} ذلك {يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ} صعبًا شديدًا {عَسِيراً} غليظًا {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} حسرة وندامة و {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي} اتبعت و {اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} ومنهجًا وطريقًا {يَا وَيْلَتَى} وبؤسي وخزيي {لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً} صديقًا حميمًا {خَلِيلاً} فـ {لَقَدْ أَضَلَّنِي} وأغواني {عَنِ الذِّكْرِ} والدين والهُدى {بَعْدَ إِذْ جَاءنِي} ووعظني {وَكَانَ الشَّيْطَانُ} دائمًا وأبدًا {لِلإِنسَانِ} مخيبًا ومُحَبّطًا و {خَذُولاً} {وَقَالَ الرَّسُولُ} شهيدًا على الكافرين والمشركين {يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ} وهديه ومواعِظَه وعِبَرِه وشرائِعه وأحكامِه {مَهْجُوراً} متروكًا {وَكَذَلِكَ} وبمثل أولئك {جَعَلْنَا} وهيئنا {لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ} المعاندين بسليط الشياطين عليهم لقوله تعالى في سورة الزخرف: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ}﴿٣٦﴾ ثمّ أكد تعالى قائلًا: {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً} ومرشدًا ودليلًا {وَنَصِيراً} مُعينا، ثالثًا: {وَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} كما أنزلت التوراة، فردّ تعالى عليهم قائلًا: {كَذَلِكَ} أي واقتضت حكمته تعالى أن يجعله منجمًا على مدى ثلاثًا وعشرين سنة {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} وترسخ معانيه وأحكامِه وشرائِعه وعِبَرِه، ثانيًا: {وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} متمهلًا متأنيًا جميلًا، ثالثًا: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ} أو حجة أو ذريعة {إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ} الظاهر المبين، رابعًا: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} ووعظًا وإرشادًا، فـ {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ} عميًا وصمًا وبكمًا {إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً} ومنزلًا ومقامًا {وَأَضَلُّ سَبِيلاً} ومنهجًا وطريقًا.

الملخص: -

أشار تعالى لتكذيب آلهة المشركين لهم في الآخرة، وأكّد بشرية الرُّسل، وندم المشركين لمصاحبتهم لبعض، وردّ تعالى على حجج المشركين وذرائعهم.

(٣٥-٥٢) ضرب الأمثال لتكذيب الأمم وعقوبتهم، وعدم اتعاض مشركي العرب بما حلّ بهم، والإشارة إلى بعض آياته، والأمر ببذل الجهد لإقامة الدين.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴿٣٧﴾ وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴿٣٨﴾ وَكُلاً ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا

وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ
تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا
الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً
وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً ﴿٤٩﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُوراً ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ
نَذِيراً ﴿٥١﴾ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴿٥٢﴾

ضرب تعالى الأمثال لتكذيب الأمم وسننه التي مضت فيهم قائلًا: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} أي التورة: {وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ} معينًا و {وَزِيراً} {فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ} أي فرعون وملئه {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} في السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وفي أنفسهم، وبالعصى وبياض اليد {فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً} شاملًا شنيعًا {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ} والنُّصح والهُدى {أَغْرَقْنَاهُمْ} بكفرهم {وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً} ودليل وبرهان على مر التاريخ، وفي ذلك إشارة إلى النيزك الذي اسقطه تعالى على جزيرة يوكاتان من المكسيك والذي يقدر قطره بأكبر من مائة وثمانون (١٨٠) كيلومتر، وأحدث موجة من البحر يقدر ارتفاع ألف وخمسمائة (١٥٠٠) متر تقريبا، وأدى إلى انقراض

نصف أشكال الحياة القديمة كالدِيناصُورات وغيرها، كما ورد في الموسوعة الحرة، ولا زال أثرة واضحًا دليلًا وعِبرة.

ثمّ ذكّر تعالى بما أعده للأمم الكافرة يوم القيامة قائلًا: {وَأَعْتَدْنَا} وهيئنا {لِلظَّالِمِينَ} المكذِّبين المشركين الكافرين في الآخرة {عَذَاباً} رهيبًا {أَلِيماً} قاسيًا {وَعَاداً} أي قوم هود {وَثَمُودَ} أي قوم صالح {وَأَصْحَابَ الرَّسِّ} أي أصحاب البئر {وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ} المذكورين {كَثِيراً} {وَكُلاً} من الأمم {ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ} والعبر بما حلّ بغيرهم ليؤمنوا {وَكُلاً} لما كذّبوا واستكبروا {تَبَّرْنَا} ودمرنا وأهلكنا {تَتْبِيراً} شاملًا لا تسمع لهم ركزًا ولا همسًا.

ثمّ أشار تعالى إلى عدم اتعاظ كفرة العرب بعقوبتهم قائلًا: {وَلَقَدْ أَتَوْا} ومرُّوا في رحلة الصيف {عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ} أي قوم لوط {أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا} ويعتبرون بها {بَلْ} الحقيقة أنهم {كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً} ولا بعثًا ولا حسبًا ولا جزاءً، ثمّ أشار تعالى لاستهزائهم قائلًا: {وَإِذَا رَأَوْكَ} أي المكذِّبين الكافرين المشركين {إِن يَتَّخِذُونَكَ} أي لا يتخذونك {إِلا هُزُواً} وسخريةً مستصغرين شأنه قائلين {أَهَذَا} اليتيم {الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً} ، وقالوا: {إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا} ويغوينا {عَنْ آلِهَتِنَا} أي أوثانهم اللات والعزى {لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا} عاكفين عابدين {وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} يوم القيامة {حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ} حقًا {أَضَلُّ سَبِيلاً} ومسلكًا ومنهجًا وطريقًا.

ثمّ أيّس تعالى رسوله ﷺ من إيمان المكذّبين قائلًا أولًا: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} وما تشتهي نفسه قائدًا وهاديًا {أَفَأَنتَ} بعد ضلاله {تَكُونُ عَلَيْهِ} وعلى إيمانه {وَكِيلاً} ليؤمن، ثانيًا: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ} حقًا {يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ} القرآن والمواعظ والعِبر، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} من الأنعام {سَبِيلاً} وفهمًا ومنهجًا، فالأنعام في تَسبِيح دائم لقوله تعالى في سورة الجمعة: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ}١ وهم يسجدون مطيعين لقوله تعالى في سورة النحل: {وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ}٤٩.

ثمّ استنكر تعالى تكذيبهم واعراضهم قائلًا أولًا: {أَلَمْ تَرَ} أي ألم يروا {إِلَى} عظيم تدبير {رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ} يُطيله من الزوال ظهرًا إلى الغروب {وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً} لا يطول إلى يوم القيامة كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان وغيره {ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ} وعلى استدامته شاهدًا و {دَلِيلاً} {ثُمَّ قَبَضْنَاهُ} نقصانًا شيئًا فشيئًا {إِلَيْنَا} أي بتدبيرنا {قَبْضاً} ونقصانًا {يَسِيراً} من شروق الشمس إلى وقت الزوال ظهرًا، ثانيًا: {وَهُوَ} تعالى {الَّذِى جَعَلَ} وصيَّرَ {لَكُمُ اللَّيْلَ} سترًا {لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً} ومستراحًا، ثالثًا: {وَجَعَلَ النَّهَارَ} لكم {نُشُوراً} وسعيًا وكدًا، رابعًا: {وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} نعمةً وسرورًا، خامسًا: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً} عذبًا فراتًا {لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً} وأرضًا {مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً} سادسًا: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ} بتدبيرنا

حِصصًا للناس كما نشاء {بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا} نعمه تعالى وآياته وبراهينه {فَأَبَى} وأعرض {أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُوراً} بالله تعالى وعظيم تدبيره {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ} من قراهم {نَذِيراً} ولكن لكل أمّة نذيرًا لقوله تعالى في سورة فاطر: {إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}﴿٢٤﴾ ثمّ حذّر تعالى قائلًا: {فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ} بعبادة آلهتهم {وَجَاهِدْهُم} أي ابذل النصح لهم واضرب لهم الأمثال والعبر {بِهِ} أي بما ورد في القرآن العزيز {جِهَاداً كَبِيراً} ببذل ما يستطاع من مال ونفس وعِلم لإقامة الدين في الأرض والاحتكام لشرائعه تعالى.

الملخص: -

ضرب تعالى الأمثال لتكذيب الأمم وعقوبتهم، وعدم اتعاض مشركي العرب بما حلّ بهم، وأشار إلى بعض آياته، وأمر ببذل الجُهد لإقامة الدين في الأرض.

(٥٣-٦٢) الإشارة إلى المزيد من آياته تعالى، واستنكاره عبادة المشركين لسواه، والإشارة إلى استكبار المكذبين.

وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً

﴿٥٨﴾ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴿٦٢﴾

أشار تعالى إلى المزيد من آياته قائلًا سابعًا: {وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ} ومزج بإبداعٍ واتقانٍ {الْبَحْرَيْنِ} بِلُطف فـ {هَذَا} ماءٌ {عَذْبٌ} طيبٌ {فُرَاتٌ} زُلالٌ رِواءٌ {وَهَذَا} ماءٌ {مِلْحٌ أُجَاجٌ} شديد الملوحة زعاق {وَجَعَلَ} بإبداع وعظيم تدبيره أولًا: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً} فاصلًا لا تبغي خصائص أحدهما على الآخر، وقد ثبت وجود البرزخ بين كل بحرين كالمحيطات والبحار والخِلجان، ثانيًا {وَحِجْراً مَّحْجُوراً} والحجر المحجور لا يكون إلّا بين مصبات الأنهار والبحار، وقد ثبت أن الأحياء المائية التي تعيش في الحِجر المحجور لا يمكنها أن تعيش في البحر المالح ولا في الماء العذب، فهي محجورة فيه لا تتعداه، ثامنًا: {وَهُوَ} تعالى {الَّذِى خَلَقَ} بعظيم ابداعه {مِنَ الْمَاء} المهين أي المني {بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً} والنسب هم الذين أجاز تعالى الزواج منهم {وَصِهْراً} وهم الذين لا يجوز الزواج منهم كما ورد في قاموس لسان العرب {وَكَانَ رَبُّكَ} على فعل كل شيءٍ {قَدِيراً} ثمّ استنكر تعالى قائلًا: {وَيَعْبُدُونَ} بعد تلك الآيات المعجزات أوثانًا وشركاء بل الحقيقة شياطين {مِن دُونِ اللَّهِ} تعالى {مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ} بشيء، ولا يخلقون شيئًا، ولا يمنحون موتًا ولا نشورًا لقوله تعالى في سورة الفرقان: {وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا

وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴿٣﴾ {وَكَانَ الْكَافِرُ} دائمًا وأبدًا {عَلَى رَبِّهِ} خصما وعدوًا و {ظَهِيراً} مُعينًا.

ثمّ أشار تعالى إلى مهمة الرسول ﷺ وأمته قائلًا: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّراً} للمؤمنين {وَنَذِيراً} للكافرين لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ف {قُلْ} وقولوا {مَا أَسْأَلُكُمْ} ولا نسألكم {عَلَيْهِ} أي على هدايتكم وبشارتكم ونذارتكم {مِنْ} أدنى {أَجْرٍ} للفوز بالخلود في الجنان {إِلاّ مَن شَاء} منكم {أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ} طريقًا ومنهجًا و {سَبِيلاً} {وَتَوَكَّلْ} وتوكلوا في كل أموركم ونصركم {عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لا يَمُوتُ} أبدًا {وَسَبِّحْ} وسبحوا {بِحَمْدِهِ} عابدين طائعين في كل ما أُمرتم بفعله وكل ما نهيتم عنه، ثمّ حذّر تعالى قائلًا: {وَكَفَى بِهِ} تعالى {بِذُنُوبِ عِبَادِهِ} عالمًا سميعًا بصيرًا و {خَبِيراً} ثم أشار تعالى إلى أعظم معجزاته وآياته وأدلته وبراهينه قائلًا: {الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} وأعطى كل شيءٍ فيهما خلقه وهداه {فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ} أي من أيّامه تعالى، ويومه كألف سنة من أيّام الأرض لقوله تعالى في سورة الحج: {... وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}﴿٤٧﴾ فكان خلقهما في ستة آلاف سنة من أيّام الأرض، بعد أن كانتا شيئاً واحدًا، ففصلهما لقوله تعالى في سورة الأنبياء: {أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ ...}﴿٣٠﴾ ثم كانتا دخانًا لقوله تعالى في سورة فصلت: {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ}﴿١١﴾.

ثمّ قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} لا منازع له، وله تعالى الخلق والأمر، ولا يكون شيئًا فيهما إلّا بإذنه ومشيئته، وهو {الرَّحْمَنُ} لخلقه مؤمنهم وكافرهم يرزقهم بغير حساب {فَاسْأَلْ بِهِ} وعنه عالمًا و {خَبِيراً} ثمّ استنكر تعالى قائلًا: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ} أي للكفار المكذّبين {اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ} طائعين في كل ما أمرتم ونهيتم عنه، لعظيم خلقه وإبداعه {قَالُوا} مستنكرين {وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} انت ونترك أوثاننا وما عبد آبائنا {وَزَادَهُمْ} التذكير تكذيبًا وعصيانًا وإعراضًا واستكبارًا و {نُفُوراً}.

ثم أشار تعالى إلى آيات أخرى قائلًا: {تَبَارَكَ} وتفضل وتكرم وجاد تعالى على خلقه، فهو {الَّذِى} تاسعًا: {جَعَلَ} بعظيم ابداعه واتقانه {فِى السَّمَاء بُرُوجاً} زينةً وهدايةً لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}﴿٩٧﴾ عاشرًا: {وَجَعَلَ فِيهَا} شمسًا {سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً} لتعلموا عدد السنين والحساب لقوله تعالى في سورة يونس:{ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}﴿٥﴾ الحادي عشر: {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} والليل يغطي النهار لقوله تعالى في سورة الأعراف والرعد: {... يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ...}﴿٥٤﴾ ﴿٣﴾ والنهار هو طبقة رقيقة بالنسبة لقطر الأرض والذي يساوي اثنا عشر ألف وسبعمائة وستة وخمسون (١٢٧٥٦) كيلومتر، ولذلك شبهه تعالى النهار بِسلخ الشاة، والذي لا يتجاوز أربعمائة وثمانون (٤٨٠) كيلومتر لقوله تعالى في سورة يس: {وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ

نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾٣٧ ثمّ قال عن الليل والنهار {خِلْفَةً} يَتعاقبان {لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ} آياته تعالى ومعجزاته {أَوْ أَرَادَ شُكُوراً} وطاعةً واذعانًا وهدايةً ونعيمًا مقيمًا.

الملخص: -

أشار تعالى إلى المزيد من آياته، واستنكر عبادة من سواه، وأشار إلى استكبار المكذِّبين.

(٦٣-٧٧) المفاضلة بين صفات عباد الرحمن والمكذِّبين، والإشارة إلى جزء الفريقان.

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴿٦٩﴾ إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا

قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴿٧٤﴾ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴿٧٧﴾

فاضل تعالى بين صفات عباد الرحمن والمكذِّبين قائلًا: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ} أوّلًا: {الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً} بِسَكِينَةٍ ووقار دون استكبار، ملتزمين هدي ربهم، ثانيًا: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ} وخاصمهم {الْجَاهِلُونَ} بالدين {قَالُوا سَلاماً} لا بغيًا ولا عدوانًا، ثالثًا: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ} ليلهم {لِرَبِّهِمْ} تائبين طائعين مستغفرين {سُجَّداً وَقِيَاماً} متطوعين، رابعًا: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ} داعين ربهم {رَبَّنَا اصْرِفْ} وابعد {عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ} في الآخرة {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ} سوءً وخزيًا و {غَرَاماً} فـ {إِنَّهَا سَاءتْ} وخبثت {مُسْتَقَرّاً} ومنزلًا {وَمُقَاماً} خامسًا: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا} بذخًا {وَلَمْ يَقْتُرُوا} بخلًا {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ} عدلًا ووسطًا {قَوَاماً} سادسًا: {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ} شريكًا {مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ} أبدًا، سابعًا: {وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ} ظلمًا وعدوانًا {إِلا بِالْحَقِّ} والعدل، ثامنًا: {وَلا يَزْنُونَ} فحشًا وفسادًا {وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ} عصيانًا وعنادًا {يَلْقَ أَثَاماً} في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ {يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ} ندامةً وخزيًا {مُهَاناً} ثمّ استثنى تعالى قائلًا: {إِلا مَن تَابَ} واستغفر وأناب منهم {وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ} قبل خلق الخلق {غَفُوراً رَّحِيماً} بخلقه يرزق مؤمنهم

وكافرهم حجة عليهم {وَمَن تَابَ} حقًا {وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً} خالصًا تمامًا.

تاسعًا: {وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ} شهادة {الزُّورَ} والكذب {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ} وأهله من سوء خُلق وشتم وسباب ومراءٍ وكذب {مَرُّوا} متنزّهين مترفعين {كِرَاماً} عاشرًا: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا} ووُعظوا {بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} في السماوات والأرض وما فيهما وبينهما، وفي أنفسهم {لَمْ يَخِرُّوا} ولم يمروا {عَلَيْهَا} مكذّبين معرضين {صُمّاً وَعُمْيَاناً} الحادي عشر: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا} وامنحنا {مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} رضًا وبهجةً وسرورًا في الدنيا والآخرة، الثاني عشر: {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ} هدًى ورحمةً و {إِمَاماً} فـ {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ} والمنازل الرفيعة في الجنّة جزاءً {بِمَا صَبَرُوا} في الدنيا {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا} أي في الجنّة يوم القيامة {تَحِيَّةً} من الملائكة وبشرى {وَسَلاماً} لقوله تعالى في سورة الرعد: {جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ}﴿٢٤﴾ {خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا {حَسُنَتْ} وجُمِّلت وحُلِّيت {مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً} ثمّ قال تعالى: {قُلْ} وقولوا للمكذّبين {مَا يَعْبَأُ} وما يصنع وما يفعل {بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ} وشرككم آلهةً من دون الله تعالى {فَقَدْ كَذَّبْتُمْ} في الدنيا {فَسَوْفَ يَكُونُ} عذابكم في الدنيا والآخرة حتمًا و {لِزَاماً} لقوله تعالى

في سورة آل عمران: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}٥٦.

الملخص: -

فاضل تعالى بين صفات عباد الرحمن والمكذِّبين، وأشار إلى جزاء الفريقان.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الشعراء ترتيبها (٢٦) آياتها (٢٢٧)

(١-٢٨) القسم بآيات القرآن العزيز، والاستنكار على كُفر الكافرين، والإشارة إلى بعض آياته ومعجزاته تعالى، وإلى حوار موسى (ع‌س) مع فرعون.

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ آيَاتُ الۡكِتَابِ الۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَاقُهُمۡ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّنَ الرَّحۡمَنِ مُحۡدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُوا فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسۡتَهۡزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡا إِلَى الأَرۡضِ كَمۡ أَنبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الۡعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذۡ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائۡتِ الۡقَوۡمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلاَّ فَاذۡهَبَا بِآيَاتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الۡعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِي إِسۡرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ الَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ الۡكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡماً وَجَعَلَنِي مِنَ الۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِي إِسۡرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ الۡعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُ أَلا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾

قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

يقسم تعالى بـ {طسّمّ} لما للحروف من أهمية بالغة في كتابة اللغة والعلوم عامَّة، وعلوم الدين والقرآن خاصّة قائلًا: {تِلْكَ آيَاتُ} ودلائل وبراهين ومعجزات {الْكِتَابِ} العزيز الواضح {الْمُبِينِ} لحقيقة الحياة، والحقّ والباطل، وسننه تعالى في الناس، ثمّ ونبّه تعالى رسوله ﷺ عن المعرضين قائلًا: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ} ومجهدٌ ومهلكًا {نَّفْسَكَ} أسفًا وحزنًا {أَلاّ يَكُونُوا} أي مُشركي العرب وغيرهم {مُؤْمِنِينَ} فـ {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً} ومعجزةً وحجةً ودليلٌ وبرهان {فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} منقادين ذليلين صاغرين، ولكنهم مكذّبين لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}﴿٥٩﴾ ثمّ قال تعالى: {وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ} وهدًى ورُشدٍ {مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ} مستجدٍ كالقرآن العزيز {إِلاّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ} منكرين، فتوعدهم قائلًا: {فَقَدْ كَذَّبُوا} بالحق {فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء} وخبر وسنن {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾ ثمّ أشار تعالى لآياته التي ينكرون قائلًا أولًا: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى} آياتنا وبراهيننا في {الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ} وصنف مثمرٍ {كَرِيمٍ} دائم العطاء، وقد أكّد تعالى أنّ كل خلقه من زوجين، سواءً ذكر وأنثى أو سالب وموجب وغير ذلك لقوله

تعالى في سورة الذاريات: {وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ}﴿٤٩﴾ {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ} ومعجزةً ودليلً وبرهانً على عظيم خلقه وابداعه {وَمَا كَانَ} بعد تلك الآيات والدلائل {أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ} ولا موقنين، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ} الذي لا يقبل الشرك، والغالب في كل شأنه، والذي ليس كمثله شيء في أسمٍ من أسمائه ولا في صفةٍ من صفاته {ٱلرَّحِيمُ} بخلقه يرزق مؤمنهم وكافرهم بغير حساب.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا آخر لإعراض المكذّبين قائلًا: {وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ} بشيرًا ونذيرًا {ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} المستكبرين {قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ} عقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ف {قَالَ} موسى (ع‌س) متخوفًا أولًا: {رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} ثانيًا: {وَيَضِيقُ صَدۡرِي} لعنادهم واستكبارهم ثالثًا: {وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي} فصاحةً وهديًا وإرشادًا {فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ} أخي {هَٰرُونَ} (ع‌س) عونًا ونصيرًا، رابعًا: {وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ} أي قتل رجل من القِبط {فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ} قصاصًا، فطمئنه تعالى قائلًا: {قَالَ كَلَّاۖ} أي لن يكون شيئًا مما تخاف، وأرسل تعالى لهارون (ع‌س) وقال: {فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ} وأدلتنا وبراهيننا كالعصى ونصاعة بياض يد موسى (ع‌س) وغير ذلك من الآيات ف {إِنَّا مَعَكُم} مُبصرون و {مُّسۡتَمِعُونَ} {فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ} أولًا: {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} ثانيًا: و {أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} أحرارًا غير مستعبدين، ف {قَالَ} فرعون أولًا: {أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا} في قصرنا وعِزّنا {وَلِيدٗا}

حتى كبرت، ثانيًا: {وَلَبِثْتَ} وبقيت {فِينَا} أي في عزّنا {مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} طوال، ثالثًا: {وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ} أي قتلت القبطي {الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ} لحكمي ومُلكي {مِنَ الْكَافِرِينَ} الظالمين، فـ {قَالَ} موسى (ع‌س) معترفًا: {فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} المخطئين {فَفَرَرْتُ} هربًا {مِنكُمْ} إلى مدين {لَمَّا خِفْتُكُمْ} قتلي {فَوَهَبَ لِي} وجاد عليَّ {رَبِّي} أولًا: {حُكْماً} أحكم به بين الناس، ثانيًا: {وَجَعَلَنِي مِنَ} النبيين {الْمُرْسَلِينَ} ثم استدرك قائلًا: {وَتِلْكَ} أي وهل تلك {نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ} وسخرّت وأذللت {بَنِي إِسْرَائِيلَ} دون حقّ، بعد أن كانوا أحرارًا، وقتلت أبنائهم واستحييت نسائهم، فـ {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا} ومن {رَبُّ الْعَالَمِينَ} فـ {قَالَ} موسى (ع‌س) هو {رَبُّ} وخالق ورافع {السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} {وَ} كل {مَا بَيْنَهُمَا} وما فيهما {إِن كُنتُم} حقًا مؤمنين {مُّوقِنِينَ} فـ {قَالَ} فرعون {لِمَنْ حَوْلَهُ} وكبار قومه {أَلا تَسْتَمِعُونَ} وتجيبون فـ {قَالَ} موسى (ع‌س) هو {رَبُّكُمْ} وخالقكم {وَرَبُّ} وخالق {آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ} الغابرين، فـ {قَالَ} فرعون حقًا {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ} من ربكم {لَمَجْنُونٌ} مهبول فـ {قَالَ} موسى (ع‌س) هو {رَبُّ} ومنشئ {الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَ} كل {مَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} وتدركون وتفهمون.

الملخص: –

أقسم تعالى بآيات القرآن العزيز، واستنكر كُفر المشركين، وأشار إلى بعض آياته تعالى ومعجزاته، وإلى حوار موسى (ع‌س) لفرعون.

(٢٩-٦٨) تَوَعُد فرعون لموسى (ع‌س) وابطال سحر السحرة، وثباتهم على الإيمان، ونجاة موسى (عس) وقومه، وإهلاك فرعون وجنده.

قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِى الْمَدَايِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ
لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا
لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ
سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ
لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا
نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِى إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى الْمَدَايِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ
قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا
تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾
فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

توعد فرعونُ موسى (عس) و {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ} وعبدت {إِلَهاً} وربًا {غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ} في السجن {مِنَ الْمَسْجُونِينَ} فـ {قَالَ} موسى (عس): {أَوَلَوْ جِئْتُكَ} وبرهنت لك {بِشَىْءٍ} واضح {مُّبِينٍ} أني رسول رب العالمين؟ فـ {قَالَ} فرعون {فَأْتِ بِهِ} وأظهره {إِن كُنتَ} حقًا {مِنَ الصَّادِقِينَ} المُحقين {فَأَلْقَى عَصَاهُ} على الأرض {فَإِذَا هِىَ} أصبحت {ثُعْبَانٌ} واضح {مُّبِينٌ} {وَنَزَعَ} مخرجًا {يَدَهُ} من جيبه ومن تحت إبطه {فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءَ} مضيئةً ناصعةً {لِلنَّاظِرِينَ} فـ {قَالَ} فرعونُ صارمًا مُنكرًا مكذِّبٌ {لِلْمَلإِ} ولكبار ووجهاء قومه الذين {حَوْلَهُ} {إِنَّ هَذَا} حقًا {لَسَاحِرٌ} عارفٌ {عَلِيمٌ} {يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم} وتكون لهما الكبرياء في مصر {بِسِحْرِهِ فَمَاذَا} ترون و {تَأْمُرُونَ}؟ فـ {قَالُوا أَرْجِهِ} وأمهله {وَأَخَاهُ وَابْعَثْ} وأرسل جُندك {فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} حاشدين لـ {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ} مُتمكن ضليع {عَلِيمٍ} {فَجُمِعَ السَّحَرَةُ} من قُرى مصر {لِمِيقَاتِ يَوْمٍ} للزينة {مَّعْلُومٍ} ومشهود {وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ} ضحًا، فـ {لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ} ونأتمر بأمر {السَّحَرَةَ} شرط {إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ} وفي ذلك تنازل عن زعمه أنّه ربهم الأعلى من

حيث لا يشعر {فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ} مستعدين {قَالُوا لِفِرْعَوْنَ} مشترطين {أَإِنَّ لَنَا لأَجْراً} وجائزةً وحظًا {إِن كُنَّا نَحْنُ} المنتصرين {الْغَالِبِينَ}؟ فـ {قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ} يومها {إِذاً لَّمِنَ} حاشيتي وفي {الْمُقَرَّبِينَ} مصرًا على الكفر، فجُمع السحرة و {قَالَ لَهُم مُّوسَى} واثقًا متحديًا {أَلْقُوا} جميعًا كل {مَا أَنتُم مُّلْقُونَ} وما تأفكون {فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ} ساحرين أعين الناس ومُرهبين {وَقَالُوا} مقسمين {بِعِزَّةِ} وعلو ورفعة شأن {فِرْعَوْنَ إِنَّا} يقينًا {لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ} الظافرون {فَأَلْقَى مُوسَى} (ع‌س) بإيمانٍ وثقةٍ وثباتٍ {عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ} وتبتلع كل {مَا} كانوا {يَأْفِكُونَ} ويُعِدُّون {فَأُلْقِيَ} على الأرض {السَّحَرَةُ} منبهرين {سَاجِدِينَ} موقنين و {قَالُوا آمَنَّا} صدقًا وحقًا {بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} الخالق العليم {رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} فـ {قَالَ} فرعون متوعدًا مستكبرًا وهل {آمَنتُمْ لَهُ} وكفرتم بي {قَبْلَ أَنْ آذَنَ} وأجيز {لَكُمْ} ثم توعد قائلًا: {إِنَّهُ} حقًا {لَكَبِيرُكُمُ} وعظيمكم موسى {الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} كما ورد في التفاسير، قائلًا: {فَلَسَوْفَ} حقًا {تَعْلَمُونَ} عظيم عقوبتي، فـ {لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم} تنكيلًا {مِّنْ خِلَافٍ} أي قطع يد يمنى ورجل يسرى، أو العكس {وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ} في جذوع النخل حتى الموت {أَجْمَعِينَ} عبرةً للمعتبرين فـ {قَالُوا} مؤمنين موقنين {لا ضَيْرَ} ولا بأسَ ولا حَزَن ولا أسى فـ {إِنَّا} حتمًا وقطعًا {إِلَى رَبِّنَا} يوم القيامة {مُنقَلِبُونَ} راجعون، و {إِنَّا} لـ {نَطْمَعُ} بإيماننا وصبرنا {أَن يَغْفِرَ} تعالى {لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا} من السِّحر و {أَن} أي إذ {كُنَّا} مبادرين ومن {أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} المصدقين {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ} ليلًا {بِعِبَادِي} المؤمنين، فـ {إِنَّكُم} قطعًا {مُّتَّبَعُونَ} ملاحقون {فَأَرْسَلَ

فِرْعَوْنُ} لجنده {فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} حاشدين قائلًا: {إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ} وزمرةٌ {قَلِيلُونَ} حقيرون {وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ} مُغضِبون {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ} متيقظون لمكرهم {فَأَخْرَجْنَاهُم} مُهلَكِين {مِّن جَنَّاتٍ} وحدائق {وَعُيُونٍ} وثراءٍ {وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ} عزيز {كَرِيمٍ} و {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا} أي الأرض المباركة بوعدنا {بَنِي إِسْرَائِيلَ} {فَأَتْبَعُوهُم} مسرعين {مُّشْرِقِينَ} مُصَبِّحين {فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ} عن بعدٍ {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى} خوفًا وفزعًا {إِنَّا} حقًا {لَمُدْرَكُونَ} مُلحقون فـ {قَالَ} موسى (عس) موقنًا {كَلاَّ} فـ {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي} مؤيدًا وناصرًا {سَيَهْدِينِ} {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ} فلقتين {فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ} والجبل {الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا} وأتبعنا {ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ} فرعون وجنوده {وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ} من هلاك عظيم {ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ} فـ {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ} وعبرةً لنصر المؤمنين وإهلاك الظالمين {وَ} لكن {مَا كَانَ أَكْثَرُهُم} من الأمم بـ {مُّؤْمِنِينَ} مصدقين {وَإِنَّ رَبَّكَ} قطعًا وجزمًا {لَهُوَ الْعَزِيزُ} الغالب على أمره {الرَّحِيمُ} بعبادة المؤمنين.

الملخص: -

تَوَعَدَ فرعون موسى (عس) وأبطل سحر السحرة، وثبتوا على الإيمان، ونجى تعالى موسى (عس) وقومه، وأهلك تعالى فرعون وجنده.

(٦٩-١٠٤) ضرب المثل لتكذيب الأمم بقوم إبراهيم (ع‌س) والإشارة إلى اختصامهم وجزائهم في الآخرة.

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا
عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ
وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ
الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِى هُوَ
يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِى أَطْمَعُ
أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّى
لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لأَبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ
الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ
﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُّبِينٍ
﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلاّ الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلا
صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

ضرب تعالى مثلًا آخر لتكذيب الأمم بقوم إبراهيم (عس) وأشار تعالى إلى جزائهم واختصامهم في الآخرة قائلًا: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ} وخبر قوم {إِبْرَاهِيمَ} (عس) {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ} وهو عمه الذي تبرأ منه، لقوله تعالى في سورة التوبة: {وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ}﴿١١٤﴾ أما والديه فقد استغفر لهما عند كبره لقوله تعالى في سورة إبراهيم: {رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ}﴿٤١﴾ وقال لعمه {وَقَوْمِهِ}: {مَا تَعْبُدُونَ} من دون الله تعالى؟ فـ {قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا} ولعبادتهم {عَاكِفِينَ} ملتزمين، فبيّن إبراهيم (عس) لهم بطلان عبادتهم و {قَالَ} أولًا: {هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ} ولما {تَدْعُونَ} وتعبدون وتسألون؟ ثانيًا: {أَوْ يَنفَعُونَكُمْ} بشيءٍ جزاءً وعرفانًا لما تعبدون {أَوْ يَضُرُّونَ} عُقُوبةً إن تركتموهم؟ فـ {قَالُوا} لا {بَلْ} ولكن {وَجَدْنَا آبَاءنَا} الأقدمون {كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} فتبرأ من فِعلهم و {قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ} من أصنام {أَنتُمْ} وكذلك {وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ} الغابرون الهالكون {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي} قطعًا وأبدًا، ثمّ استثنى مبينًا سبب عبادته لله تعالى قائلًا: {إِلاّ رَبَّ} وخالق {الْعَالَمِينَ} فهو أولّا: {الَّذِى خَلَقَنِى} من ماء مهين، وآلهتكم لا تخلق شيئًا، ثانيًا: {فَهُوَ} الذي يرشدني لديني وعبادتي و {يَهْدِينِ} وآلهتكم لا تهدي لشيء، ثالثًا: {وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى} مما يُنبِتُ لكم من الزرع، وما يخلق لكم من دواب، وآلهتكم لا تطعم أيّ شيء، رابعًا: {وَ} هو تعالى الذي {يَسْقِينِ} بما يُنزِّل من السماء من ماء، وآلهتكم لا تسقي أحدًا أبدًا،

خامسًا: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ} تعالى الذي {يَشْفِينِ} بصرفه الداء بما وكيف ومتى يشاء، ولا يكون شيئا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته، وآلهتكم لا تشفي أحدًا أبدا، سادسًا: {وَ} هو تعالى {الَّذِى يُمِيتُنِى} في الأجل المسمى عنده، وآلهتكم لا تميت، سابعًا: {ثُمَّ يُحْيِينِ} للحساب والجزاء، وآلهتكم لا تُحي شيئًا، تاسعًا: {وَ} هو تعالى {الَّذِى أَطْمَعُ} وأرجو {أَن يَغْفِرَ لِى} ذنبي و {خَطِيئَتِى} وتقصيري {يَوْمَ الدِّينِ} يوم الحساب والجزاء، وآلهتكم ليس لها حساب ولا جزاء، ثمّ دعا ربه قائلًا: {رَبِّ هَبْ لِى} وامنحني حُجة و {حُكْماً} موافقًا لدينك {وَأَلْحِقْنِى} في الآخرة {بِالصَّالِحِينَ} المتقين {وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ} ومنهجًا باقيًا {فِى} الأمم {ٱلْأَٰخِرِينَ} من بعدي {وَاجْعَلْنِى} في الآخرة {مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ} وفي عليين {وَاغْفِرْ لأَبِى} أي لعمّه الذي تبرأ منه {إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ} المشركين {وَلا تُخْزِنِى} بعذابٍ {يَوْمَ يُبْعَثُونَ} في الآخرة {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ} عِوضًا عن الذنوب {وَلا بَنُونَ} فيُجيرون من عذاب الآخرة، ثمّ استثنى قائلًا: {إِلاّ مَنْ أَتَى اللَّهَ} يوم القيامة {بِقَلْبٍ} مؤمن طاهرًا من الشرك {سَلِيمٍ} من كل مُنكرٍ وإثم {وَأُزْلِفَتِ} وقربت {الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ} المخلصين {وَبُرِّزَتِ} وجلّيت {الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ} المشركين المكذّبين المستكبرين {وَقِيلَ لَهُمْ} زجرًا وتوبيخًا {أَيْنَ} كل {مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ} وتشركون في الدنيا {مِن دُونِ اللَّهِ} ف {هَلْ يَنصُرُونَكُمْ} اليوم {أَوْ يَنتَصِرُونَ} لكم فينقذون {فَكُبْكِبُوا} وكبُّوا وقذفوا وألقوا {فِيهَا} أي في جهنّم {هُمْ وَالْغَاوُونَ} الضالون المشركون المكذّبين {وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} إنسِهم وجنِّهم، ثمّ بيّن تعالى جانبًا من خصومتهم لبعض، و {قَالُوا} أي المشركين لبعض {وَهُمْ

فِيهَا يَخْتَصِمُونَ} مقسمين حالفين: {تَاللَّهِ إِن كُنَّا} في الدنيا {لَفِى ضَلالٍ} عن الحق جليٍّ وضحٌ {مُّبِينٍ} {إِذْ} ويوم {نُسَوِّيكُم} ونُشرككم {بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} وقالوا يلومون خُصمائِهم: {وَمَا أَضَلَّنَا إِلاّ الْمُجْرِمُونَ} من كفرة الجنّ والإنس {فَمَا لَنَا} اليوم في جهنّم {مِن شَافِعِينَ} يُنقذن ويُخرجون {وَلا} ينفعنا في جهنّم {صَدِيقٍ} مخلصٌ صادق {حَمِيمٍ} عندها يتمنون قائلين {فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} أي فليت لنا رجعة إلى الدنيا {فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الموقنين الصادقين {إِنَّ فِى ذَلِكَ} القصص والحال والمآل {لَآيَةً} وعبرة للمعتبرين {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم} أبدًا في الدنيا بـ {مُّؤْمِنِينَ} {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ} الغالب في كلِّ أسمائه وصفاته {الرَّحِيمُ} بعباده المؤمنين.

الملخص: -

ضـــرب تعالى المثل لتكذيب الأمم بقوم إبراهيم (ع‌س) وأشـــار تعالى إلى اختصامهم وجزاءهم وحسرتهم في الآخرة.

(١٠٥-١٤٠) ضرب المثل لتكذيب الأمم بقوم نوح وعاد والإشارة إلى عقوبتهم في الدنيا قبل الآخرة عبرةً للمعتبرين.

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلاّ

نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ
﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ
﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا
تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ
﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

ضرب تعالى المثل لتكذيب الأمم بقوم نوح وهود وأشار إلى جزائهم في الدنيا ليعتبر المعتبرون قائلًا: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ} هَديَ ورسالة {الْمُرْسَلِينَ} ومن المعلوم أنّ دعوة المرسلين واحدة، لعبادة الله تعالى وحده، وفعل كل ما يأمُرُهم به، وترك كل ما ينهاهم عنه {إِذْ} أي لمّا أو يوم {قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ} أي أخوهم للغتهم {نُوحٌ} (ع‌س) {أَلَا تَتَّقُونَ} عقوبة ربكم في الدنيا والآخرة، فما يرسل تعالى رسولًا إلّا بلسان قومه لقوله تعالى في سورة إبراهيم: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن

يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴿٤﴾ فقال {إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ} من رب العالمين {أَمِينٌ} لتبليغ كل ما يوحى إليّ من الدين، أمرًا أو نهيًا {فَاتَّقُوا} عقوبة {اللَّهَ} تعالى في الدنيا والآخرة {وَأَطِيعُونِ} واتبعون ولا تعصون {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} أي على تبليغ رسالة ربي وهدايتكم {مِنْ أَجْرٍ} منكم {إِنْ أَجْرِيَ} أي وليس أجري في الدنيا والآخرة {إِلاّ عَلَى رَبِّ} وفاطر ومُبدع خلق {الْعَالَمِينَ} من ملائكة وإنس وجن وسماوات وأراضين وما فيهما وبينهما {فَاتَّقُوا اللَّهَ} بطاعته في كل ما أمرتم به ونهيتم عنه {وَأَطِيعُونِ} فـ {قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ} الفقراء والضعفاء الحقيرون {الأَرْذَلُونَ} فـ {قَالَ وَمَا عِلْمِي} أي وكيف أعلم {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} إن دعوتهم، وقد آمنوا {إِنْ حِسَابُهُمْ} وجزائهم في الدنيا والآخرة {إِلاّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ} وتعرفون وتفطنون {وَمَا أَنَا} أبدًا {بِطَارِدِ} ولا مُبعد {الْمُؤْمِنِينَ} مهما كان حالهم ومكانتهم {إِنْ أَنَا} أي وليس أنا {إِلاّ نَذِيرٌ} من رب العالمين {مُّبِينٌ} لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴿١٢٤﴾ فـ {قَالُوا} مُنذرين مُحذِّرين {لَئِن لَّمْ تَنتَهِ} عن دعوتك ونُصحك {يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} بالحجارة حتى الموت فـ {قَالَ} داعيًا شاكيًا {رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ} وتوعَّدُون {فَافْتَحْ} واحكم وافصل {بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً} وحكمًا {وَنَجِّنِي} منهم {وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} المُصدِّقين {فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ} أي المملوء من كلٍ زوجين اثنين لقوله تعالى في سورة هود: {حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا

قَلِيلُ﴾﴿١٠﴾ {ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ} الكافرين المكذبين المستكبرين فـ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} القصص {لَآيَةً} وعبرة بنجاة المؤمنين وإهلاك المكذِّبين في الدنيا {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم} أي الأمم بـ {مُّؤْمِنِينَ} وقد توعد تعالى الكافرين في سورة السجدة قائلًا: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾﴿١٣﴾ {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي لا يقبل إلَا دينه، والغالب في كل أسمائه وصفاته، والذي تكفّل بنصر المؤمنين، وخذلان الكافرين {الرَّحِيمُ} بخلقه يرزقهم في الدنيا بغير حساب.

ثم ضرب تعالى مثلًا آخر قائلًا: {كَذَّبَتْ عَادٌ} المُصطَفين {الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ} (ع‌س) {أَلا تَتَّقُونَ} عقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة فتؤمنون وتصدقون فـ {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} لا أخفي عنكم شيئًا مما يوحى إليَّ من رب وخالق العالمين {فَاتَّقُوا اللَّهَ} واخشوا عقوبته {وَأَطِيعُونِ} واتبعون {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} وعلى هدايتكم {مِنْ} جزاءٍ ولا {أَجْرٍ} فـ {إِنْ أَجْرِيَ} وجزائي في الدنيا والآخرة {إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} ثمّ استنكر صنيعهم قائلًا: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ} وطريقٍ ومرتفعٍ أو وّادٍ {آيَةً} وعَلَمًا {تَعْبَثُونَ} {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ} وقصورا وحصونا منيعة تتباهون وتفخرون و {لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} وتُمجَّدون وتُذكرون {وَإِذَا بَطَشْتُم} مقاتلين {بَطَشْتُمْ} ودمرتم {جَبَّارِينَ} مفسدين غاشمين {فَاتَّقُوا} عقوبة وانتقام {اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} واسمعون {وَاتَّقُوا} واخشوا تعالى {الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ} ثم عدد بعض نعمه تعالى عليهم قائلًا: {أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ} كثيرةٍ {وَبَنِينَ} {وَ} حدائق {جَنَّاتٍ} وفيرة، وماء ومنابع {وَعُيُونٍ} ثم حذّرهم قائلًا: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ}

إن كفرتم وعصيتكم {عَذَابَ يَوْمٍ} مُهلكٍ {عَظِيمٍ} فـ {قَالُوا} عاصين مستكبرين {سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ} وأنذرت {أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ} المُنبّهين المُحذِّرين {إِنْ هَذَا} أي الذي نحن عليه {إِلاّ خُلُقُ} ودين وعبادة {الأَوَّلِينَ} الغابرين {وَمَا نَحْنُ} أبدًا في الدنيا {بِمُعَذَّبِينَ} ولا مُهلكين، ولا في جهنم في الآخرة مخلدين {فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ} عقوبةً وتدميرًا {إِنَّ فِي ذَلِكَ} القصص {لَآيَةً} ودليلًا وبرهانًا وعبرةً لِصدقنا ووعدنا {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم} من الأمم بـ {مُّؤْمِنِينَ} ولا مصدقين، ثمّ يؤكد تعالى قائلًا: {وَإِنَّ رَبَّكَ} حتمًا {لَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي لا يقبل إلّا دينه، الغالب على أمره {الرَّحِيمُ} بالناس أجمعين يرزقهم بغير حساب.

الملخص: -

ضــرب تعالى المثل لتكذيب الأمم بقوم نوح وهود وأشــار إلى عقوبتهم في الدنيا قبل الآخرة عبرة للمعتبرين.

(١٤١-١٧٥) ضرب المثل لتكذيب الأمم بقوم صالح وقوم لوط، والإشارة إلى عقوبتهم في الدنيا عبرةً للمعتبرين.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ

﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ
يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا
نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ
إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ
الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
﴿١٧٥﴾

ضرب تعالى مثلين أخريين لتكذيب الأمم بقوم صالح وقوم لوط، وأشار إلى عقوبتهم في الدنيا قبل الآخرة قائلًا: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ} رسلة {الْمُرْسَلِينَ} والتي تقتضي عبادة الله وحده والالتزام بما كل ما أمر تعالى ونهى {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ} للغتهم {صَالِحٌ} (عس) {أَلَا تَتَّقُونَ} عقوبته تعالى في الدنيا قبل الآخرة، ف {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ} من رب العالمين {أَمِينٌ} لأبلغكم أمر دينكم من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات {فَاتَّقُوا اللَّهَ} بفعل في

ما أمرتم به وترك كل ما نهيتم عنه {وَأَطِيعُونِ} بما يأمركم رب العالمين {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} وعلى تبليغ رسالة ربي {مِنْ} أدنى {أَجْرٍ} فـ {إِنْ أَجْرِيَ} في الدنيا والآخرة {إِلاّ عَلَى رَبِّ} وخالق ومبدع خلق {الْعَالَمِينَ} ثمّ أكّد لهم قائلًا: {أَتُتْرَكُونَ} أي أتظنون أنّكم تتركوا {فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ} إن كفرتم دون عقوبة {فِي جَنَّاتٍ} وبهجةٍ {وَ} ماء و {عُيُونٍ} {وَزُرُوعٍ وَ} ثمرٍ و {نَخْلٍ طَلْعُهَا} وثمرها {هَضِيمٌ} سائغٍ للآكلين {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ} بطرين، ثمّ كرر عليهم قائلًا: {فَاتَّقُوا} عقوبة {اللَّهَ} تعالى {وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم وأنهاكم عنه {وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ} وهدي {الْمُسْرِفِينَ} المجرمين العاصين {الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ} بعصيان ربهم واستحلال ما حرّم تعالى عليهم {وَلا يُصْلِحُونَ} فـ {قَالُوا} مستكبرين {إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} بمس الشياطين و {مَا أَنتَ إِلاّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ} ودليل وبرهان على أنك رسول من رب العالمين {إِن كُنتَ} حقًا {مِنَ الصَّادِقِينَ} فـ {قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ} يخرجها تعالى لكم من صخر الجبل كما طلبتم و {لَّهَا شِرْبٌ} في يومٍ {وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ} آخر {مَّعْلُومٍ} ثمّ حذّرهم قائلًا: {وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ} ولا أذًا {فَيَأْخُذَكُمْ} ويهلككم {عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ} عقيم {فَعَقَرُوهَا} عنادًا وعصيانًا {فَأَصْبَحُوا} بنزول العذاب عليهم {نَادِمِينَ} خاسرين {فَأَخَذَهُمُ} وأهلكهم {الْعَذَابُ} المهين، فـ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} القصص {لَآيَةً} ودليلًا وبرهانً على مُضي عقوبة الله تعالى في الكافرين {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم} بـ {مُّؤْمِنِينَ} {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي لا يقبل إلّا

دينه والالتزام بأمره، والغالب في كل أسمائه وصفاته {الرَّحِيمُ} بالنّاس أجمعين، يرزقهم ولا يعاجلهم بالعقوبة.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا آخر لمعصية الأمم قائلًا: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ} برسالة وهدي {الْمُرْسَلِينَ} {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ} للسانهم {أَلا تَتَّقُونَ} عقوبة ربكم، فما يرسل تعالى رسولًا إلّا بلسان قومه لقوله تعالى في سورة إبراهيم: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}﴿٤﴾ فقال: {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ} من رب العالمين {أَمِينٌ} لأبلغكم أمر دينكم وما يحلُّ وما يحرم عليكم {فَاتَّقُوا اللَّهَ} في كل ما أمرتم به ونُهيتم عنه {وَأَطِيعُونِ} ولا تعصون {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} وعلى هدايتكم وأمر دينكم {مِنْ أَجْرٍ} منكم {إِنْ أَجْرِيَ} وجزائي في الدنيا والآخرة {إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} ثمّ استنكر عليهم معصيتهم قائلًا: {أَتَأْتُونَ} فاحشين {الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ} {وَتَذَرُونَ} وتتركون {مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ} حقًا {قَوْمٌ عَادُونَ} متجاوزون شرع ربكم وهديه، فـ {قَالُوا} منذرين متوعدين {لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ} عن دعوتك ونُذرك أو {لَتَكُونَنَّ مِنَ} قريتنا من {الْمُخْرَجِينَ} المُبعَدِين، فـ {قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ} المُبغِضِين المُنكِرِين، ثمّ دعا ربّه قائلًا: {رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ} وجُرمِ وعُقوبةِ ما يَقترِفُون {فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ} المؤمنين {أَجْمَعِينَ} {إِلاّ عَجُوزاً} حق عليها العذاب الذي نزل {فِي الْغَابِرِينَ} المهلكين {ثُمَّ دَمَّرْنَا} المجرمين {ٱلۡأٓخَرِينَ} {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً} من حجارة من سجّين {فَسَاء} عذاب و {مَطَرُ} قوم لوط

{الْمُنذَرِينَ} فـ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} الخبر والنبأ {لَآيَةً} ودليلًا وبرهانًا على صدق الرسل بعذاب الدنيا قبل الآخرة {وَمَا كَانَ} رغم ذلك {أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ} ولا مصدقين {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي لا يقبل ألّا دينه وشرعه، الغالب في كل شأنه {الرَّحِيمُ} بالمؤمنين.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لتكذيب الأمم بقوم صالح وقوم لوط، وأشار إلى عقوبتهم في الدنيا قبل الآخرة عبرة للمعتبرين.

(١٧٦-٢٠٣) ضرب المثل بتكذيب قوم شعيب، والإشارة إلى عقوبتهم، وتأكيد أنّ القرآن تنزيلٌ من رب العالمين، والإشارة إلى سننه تعالى في المكذِّبين.

كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلاّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

أشار تعالى إلى تكذيب قوم شعيب وعقوبتهم في الدنيا قائلًا: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ} أي أصحاب الشجر الكثير الكثيف، رسالة {الْمُرْسَلِينَ} بعبادة الله وحده والالتزام بدينه وشرائعه وأحكامه {إِذْ قَالَ لَهُمْ} رسولهم {شُعَيْبٌ} (ع‌س) {أَلا تَتَّقُونَ} عذابه تعالى في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَایَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ف {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ} من رب العالمين {أَمِينٌ} لأبلغكم تمام رسالة ربكم {فَاتَّقُوا} عقوبة {اللَّهَ} في الدارين {وَأَطِيعُونِ} فيما آمروكم به وأنهاكم عنه {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} أي على نصحي وهدايتي {مِنْ} أدنى {أَجْرٍ} ولا جزاء {إِنْ أَجْرِيَ} بتمامه في الدنيا والآخرة {إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} الخالق العظيم، ف {أَوْفُوا الْكَيْلَ} من حُقوق الناس {وَلا تَكُونُوا} أبدًا {مِنَ الْمُخْسِرِينَ} المُبخسين المُقلّين {وَزِنُوا} وكيلوا لهم {بِالْقِسْطَاسِ} والعدل المُنصِف المنضبط {الْمُسْتَقِيمِ} {وَلا تَبْخَسُوا} ولا تنقصوا {النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ} وحقوقهم {وَلا تَعْثَوْا} أي ولا تسيروا {فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} لهدي الله تعالى رب العالمين {وَاتَّقُوا} عقوبة {الَّذِي خَلَقَكُمْ} من طين {وَ} ما حلّ ونزل بـ {الْجِبِلَّةَ} والأمم والأحزاب {الأَوَّلِينَ} المُهلكين

كقوله تعالى في سورة الفجر: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}۝١٤ فـ {قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} من مس الشياطين {وَمَا أَنتَ} برسول رب العالمين، ولست {إِلاّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ} يقينًا أنّك {لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} المفترين {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً} وقطعًا أو حجارة {مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ} حقًا وصدقًا {مِنَ الصَّادِقِينَ} فأنذرهم محذّرًا و {قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} وتمكرون {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ} وأهلكهم ودمّرهم {عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ} أي يوم الظلمة بالسحاب الكثيف، وهو يوم الرجفة والصيحة كما وردت المعاني في القرآن العزيز {إِنَّهُ كَانَ} حقًا {عَذَابَ يَوْمٍ} مخزٍ وهلاك {عَظِيمٍ} {إِنَّ فِي ذَلِكَ} العذاب والعقوبة {لَآيَةً} ودليل وبرهان وعبرة للمكذّبين الكافرين {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم} أي الأمم الغابرة بـ {مُّؤْمِنِينَ} ولا مصدقين، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي لا يقبل إلّا شرعه ودينه، الغالب في كل أسمائه وصفاته، وليس كمثله شيء، ولا يحابي أحدًا، والغني عن العالمين {الرَّحِيمُ} بخلقه يرزق مؤمنهم وكافرهم.

ثم أكّد تعالى قائلًا: {وَإِنَّهُ} أي القرآن العزيز {لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الخالق العظيم {نَزَلَ} وأوحى {بِهِ الرُّوحُ} جبريل (ع‌س) {الأَمِينُ} على وحي رب العالمين {عَلَى قَلْبِكَ} ﷺ {لِتَكُونَ مِنَ} المبشرين {الْمُنذِرِينَ} {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ} فصيحٍ واضحٍ

جلي {مُّبِينٍ} لعقيدته وعباداته وأخلاقه ومعاملاته {وَإِنَّهُ} أي القرآن العزيز منصوص عليه و {لَفِى زُبُرِ} وكُتب الأمم {الأَوَّلِينَ} المرسلين.

ثمّ استنكر تعالى على كفَّار العرب المشركين قائلًا: {أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً} ودليلًا وبرهان على صدق رسالته ﷺ {أَن يَعْلَمَهُ} ويعرفه ﷺ {عُلَمَاء بَنِى إِسْرَايِيلَ} لقوله تعالى في سورة البقرة: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}﴿١٤٦﴾ {وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ} من غير العرب {فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم} بغير لغتهم {مَّا كَانُوا بِهِ} مصدقين ولا {مُؤْمِنِينَ} ثمّ أشار تعالى إلى سننه في المستكبرين قائلًا: {كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ} أي الكفر والشرك والاستكبار {فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} الكافرين المكذِّبين المعاندين العاصين فـ {لا يُؤْمِنُونَ بِهِ} أبدًا في الدنيا {حَتَّى يَرَوُا} نزول {الْعَذَابَ} الموجع المخزي {الأَلِيمَ} {فَيَأْتِيَهُم} ويفجأهم {بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} ولا يُستتابون {فَيَقُولُوا} عند نزوله حسرةً وندامةً {هَلْ نَحْنُ} اليوم مؤجلون و {مُنظَرُونَ} لنصدق ونؤمن.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل بتكذيب قوم شعيب، وأشار إلى عقوبتهم في الدنيا، وأكد أنّ القرآن العزيز تنزيلٌ من رب العالمين، وأشار إلى سننه تعالى في المكذِّبين.

(٢٠٤-٢٢٧) الاستنكار على استعجال العذاب، وتأكيد أن القرآن من رب العالمين، ولا تستطيعه الشياطين، وبيان الذين تتنزل عليهم الشياطين.

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

استنكر تعالى على الأمم الكافرة المكذّبة استعجالهم عذاب الدنيا قائلًا: {أَفَبِعَذَابِنَا} وعقوبتنا في الدنيا قبل الآخرة {يَسْتَعْجِلُونَ} ويطلبون فيصدقون، ثمّ أشار تعالى إلى حتمية سننه فيهم قائلًا: {أَفَرَأَيْتَ} وأفرأيتم {إِن مَّتَّعْنَاهُمْ} في الدنيا {سِنِينَ} طوال رغم كفرهم وعصيانهم {ثُمَّ جَاءهُم} وحلّ بهم {مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ} من جزاءٍ وعقوبة لقوله تعالى في سورة الرعد: {... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن

دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾﴿٣١﴾ فـ {مَا} ذا {أَغْنَى} ويغني {عَنْهُم} يومئذٍ {مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ} ويُترفُون ويُنعَّمُون، ثم أكّد تعالى حتمية إرسال الرُّسُل قبل نزول العذاب على الأمم الكافرة قائلًا: {وَمَا أَهْلَكْنَا} أبدًا {مِن قَرْيَةٍ} على مدار التاريخ {إِلاّ} وكان {لَهَا} أنبياء ورُسلٌ {مُنذِرُونَ} ليكون {ذِكْرَى} لهم {وَمَا كُنَّا} أبدًا بعقوبتهم وهلاكهم {ظَالِمِينَ} لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾﴿٦﴾.

ثمّ جزم تعالى إلى صدق ما أوحاه للرسول ﷺ قائلًا: {وَمَا تَنَزَّلَتْ} أبدًا { بِهِ} أي بالقرآن العزيز {الشَّيَاطِينُ} كما يكذبون ويدعون {وَمَا يَنبَغِي} ولا يمكن {لَهُمْ} ومُحال عليهم أن يأتوا بمثله أبدًا {وَمَا} كانوا {يَسْتَطِيعُونَ} فـ {إِنَّهُمْ عَنِ} استراق {السَّمْعِ} من الملائكة بعد بعثته ﷺ {لَمَعْزُولُونَ} ومحجوبون لقوله تعالى على لسانهم في سورة الجن: {وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾﴿٩﴾.

ثمّ حذّر تعالى قائلًا: {فَلا تَدْعُ} أبدًا {مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ} شريكًا {فَتَكُونَ} قطعًا {مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾﴿١٢٤﴾ ثم أرشد تعالى رسوله ﷺ قائلًا: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ} وأهلك وقرابتك {الأَقْرَبِينَ} من الكفر والشرك {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ}

وجنابك لِينًا وعفوًا {لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الصادقين المخلصين {فَإِنْ عَصَوْكَ} أي الأقربين وأعرضوا واستكبروا {فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} وتُكذِّبون وتُشركون وتعبدون {وَتَوَكَّلْ} دائمًا وأبدًا {عَلَى الْعَزِيزِ} الغالب في كل أسمائه وصفاته، والذي لا يقبل إلّا دينه وهديه، وليس كمثله شيء، المتكفل بتأييدكم ونصركم على من خالفك، وإظهار دينكم على كل دين {الرَّحِيمِ} بخلقه يرزقهم بغير حساب، وهو تعالى {الَّذِي يَرَاكَ} ويرعاك متهجدًا {حِينَ تَقُومُ} الليل {وَتَقَلُّبَكَ} وتضرعك {فِي} ومع {السَّاجِدِينَ} فـ {إِنَّهُ} تعالى جزمًا {هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} بخلقه في السماوات والأرض.

ثمّ بيّن تعالى على من تتنزل الشياطين قائلًا: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ} وأخبركم حقًا {عَلَى مَن تَنَزَّلُ} وتوحي إليهم {الشَّيَاطِينُ} فقال أولًا: {تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ} كذابٍ عاصٍ عنيد {أَثِيمٍ} {يُلْقُونَ السَّمْعَ} والقول {وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ} مفترون، ثانيًا: {وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ} ويسمعهم ويصدقهم {الْغَاوُونَ} الهائمون المفتُونُون {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ} وصرحٍ وموضوعٍ {يَهِيمُونَ} ويَتَقَوَّلون ويَشعُرُون {وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ} ثمّ استثنى تعالى من الشعراء قائلًا: {إِلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} منهم {وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا} لله {مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} وكُذِّبوا وأوذوا {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا} في الدنيا والآخرة {أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} كقوله تعالى في سورة آل عمران: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾.

الملخص: –

استنكر تعالى استعجال المكذّبين العذاب، وأكّد أن القرآن من رب العالمين، ولا تستطيعه الشياطين، وبيّن الذين تتنزل عليهم الشياطين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النمل ترتيبها (٢٧) آياتها (٩٣)

(١-١٤) القسم بآيات الكتاب المبين، وإنّه هدى وبشرى للمؤمنين، وأشار تعالى إلى مكان اصطفاء موسى (ع‌س) وتكذيب فرعون وقومه وعقوبتهم.

طسٓ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾
وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن
فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا
يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلاّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً
فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا
أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

يقسم تعالى بحرفين من اللغة العربية، مشيرًا لأهمية الحروف لكتابة اللغة والعلوم عامة، وعلوم الدين خاصّة قائلًا: {طسٓ} وجواب القسم الأوّل {تِلْكَ آيَاتُ} وأدلة وبراهين ومعجزات {الْقُرْآنِ} العزيز {وَكِتَابٍ} من سير الأنبياء والمرسلين الأولين {مُّبِينٍ} بيانًا شافيًا لتمام العقيدة الصحيحة والعبادات والأخلاق والمعاملات، وجواب القسم الثاني {هُدًى} ورشادًا ونورًا للمؤمنين، وجواب القسم الثالث: {وَبُشْرَى} في الدنيا والآخرة {لِلْمُؤْمِنِينَ} لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ ثمّ ذكر تعالى بعض صفاتهم قائلًا: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} المكتوبة أولًا في أوقاتها وما يستطاع من تطوع، ثانيًا: {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} لمستحقيها الثمانية المذكورين في قوله تعالى في سورة التوبة: {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}﴿٦٠﴾ والغاية من فرض الزكاة أن يأمن الفقراء في المجتمع على حياتهم والأغنياء على ثرواتهم، ثالثًا: {وَهُم} دائمًا وأبدًا {بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} مصدقون مطمئنون، وجواب القسم الرابع: متعلق بحتمية مُضي سننه تعالى في المكذبين المعاندين قائلًا: {إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ} والبعث والحساب والجزاء {زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ} وباطلهم ولهوهم لنُغويهم {فَهُمْ} في الدنيا {يَعْمَهُونَ} ويهيمون ويتخبطون، وجواب القسم الخامس: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ} في الدنيا، وجواب القسم السادس {وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ} لقوله تعالى في سورة آل عمران:

{فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ}﴿٥٦﴾ وجواب القسم السابع: {وَإِنَّكَ} حقًا وصدقًا {لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ} وحيًا {مِن لَّدُنْ} أي من عند {حَكِيمٍ} في كل شأنه {عَلِيمٍ} بكل خلقه في السماوات والأرض وما فيهما وبينهما، لا تخفى عليه خافية.

ثمّ أشار تعالى إلى زمان ومكان اصطفاء موسى (ع‌س) وذلك عند رجوعه من مدين مع أهله متوجهًا لمصر ليلًا قائلًا: {إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ} وأدركت {نَاراً} فامكثوا {سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ} إن وجدت أحدً حولها {أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ} شعلةٍ {قَبَسٍ} من النار، إن لم أجد أحدًا عندها {لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} وتتدفؤون {فَلَمَّا جَاءهَا} ووصل عندها {نُودِيَ} من الله تعالى {أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ} أي عندها، أي بورك في موسى (ع‌س) {وَمَنْ حَوْلَهَا} من ملائكة، كما وردت المعاني في بعض التفاسير {وَسُبْحَانَ اللَّهِ} الواحد الأحد الفرد الصمد، المُنزَّه عن كل نقصٍ ومَثلب {رَبِّ} وبارِئ وفاطر ومُبدعِ خلق {الْعَالَمِينَ} و {يَا مُوسَى} كن على يقن {إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ} الغالب في كل شأنه وفي أسمائه وصفاته، والذي ليس كمثله شيء في السماوات والأرض، الغني عن العالمين {الْحَكِيمُ} في قضائه وقدره وجميع أمره، ثمّ أمره تعالى قائلًا: {وَأَلْقِ عَصَاكَ} على الأرض {فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ} متحولةً لثعبان و {كَأَنَّهَا} شيطانُ {جَانٌّ وَلَّى} هاربًا خائفًا {مُدْبِراً} نحو أهله {وَلَمْ يُعَقِّبْ} أي دون تريث، فناداه تعالى قائلًا: {يَا مُوسَى} مَهلًا {لا تَخَفْ} فـ {إِنِّي لا يَخَافُ} أبدًا {لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} أي وقد اخترتك واصطفيتك لتكون من المرسلين {إِلاّ مَن

ظَلَمَ} من الناس وعصى وأعرض {ثُمَّ} تاب واستغفر وأناب، ثمّ {بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ} وظُلمٍ {فَإِنِّي غَفُورٌ} أقبل التوب {رَّحِيمٌ} بعبادي المؤمنين التائبين {وَأَدْخِلْ يَدَكَ} أي كفّ يَدَك {فِي جَيْبِكَ} أي في جيب قميصك وتحت عَضُدِك {تَخْرُجْ بَيْضَآءَ} منيرةً {مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} ولا مرضٍ ولا علة {فِي} ومن ضمن {تِسْعِ آيَاتٍ} ودلائل وبراهين ومعجزات على صدق رسالتك من رب العالمين {إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ} بشيرًا ونذيرًا {إِنَّهُمْ كَانُوا} زمنًا وعهدًا طويلًا {قَوْماً فَاسِقِينَ} عاصين معاندين، فرجع موسى (ع‌س) إلى أهله بأفضل مما وعدهم به، حيث بُشِّر بالاصطفاء بالرسالة والآيات المعجزات لفرعون وملئه {فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا} وأدلتنا وبراهيننا ومعجزاتنا {مُبْصِرَةً} واضحةً دامغةً {قَالُوا} مكذِّبين منكرين {هَذَا سِحْرٌ} جلي واضحٌ {مُّبِينٌ} {وَجَحَدُوا} وأنكروا وكذّبوا وكفروا {بِهَا} أي بالآيات التسع {وَاسْتَيْقَنَتْهَا} وصدقت وتيقنت بها {أَنفُسُهُمْ} بأنها من عند الله تعالى، ولكن كفروا بها {ظُلْماً وَعُلُوّاً} واستكبارًا {فَانظُرْ} وانظروا {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء وخزي {الْمُفْسِدِينَ} أذ أغرقناهم أجمعين لقوله تعالى في سورة الزخرف: {فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴿٥٥﴾.

الملخص: –

أقسم تعالى بآيات الكتاب المبين، وإنّه هدى وبشرى للمؤمنين، وأشار تعالى مكان اصطفاء موسى (ع‌س) وتكذيب فرعون وقومه وعقوبتهم.

(١٥-٣١) الإشارة إلى مِنحِه تعالى لداوود وسليمان (عس) وبيان جانب من قصّة سليمان (عس) وملكة سبأ والهدهد، وأمرهم أن يأتوهُ مسلمين.

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِى النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِى هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلا تَعْلُوا عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

أكَّد تعالى مِنَحِهُ لداوود وسليمان (عس) قائلًا: {وَلَقَدْ آتَيْنَا} ووهبنا ومنحنا لـ {دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ} (عس) {عِلْماً} من فيض علمه تعالى، ولا يهب تعالى عِلمه إلّا للمتقين لقوله تعالى في سورة البقرة: {... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ} {وَقَالا} (عس) حامدين شاكرين {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى} اصطفانا بالنبوة و {فَضَّلَنَا} بعلمه {عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ} ثمّ بيّن تعالى النسب بينهما قائلًا: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ} (عس) النبوّة والعلم والملك من {دَاوُودَ} (عس) {وَقَالَ} سليمانُ (عس) لبني إسرائيل كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان {يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ} ولُغة {الطَّيْرِ وَأُوتِينَا} ووُهِبنا {مِن كُلِّ شَىْءٍ} لتعزيز الملك {إِنَّ هَذَا} كلّه {لَهُوَ الْفَضْلُ} الظاهر {الْمُبِينُ} العميم، ثم عدد تعالى بعض جنود سليمان (عس) قائلًا: {وَحُشِرَ} أي وحُشد أو جُمع {لِسُلَيْمَانَ} (عس) {جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ} والذين تكفّل تعالى بعقوبة العصاة منهم عند عصيانهم لسليمانُ (عس) لقوله تعالى في سورة سبأ: {وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ}١٢ ثمّ قال تعالى: {وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} ويفعلون ما يؤمرون وحيث يوجهون بأمر سليمان (عس) {حَتَّى إِذَا أَتَوْا} في مسيرهم {عَلَى وَادِى النَّمْلِ} وقريتهم {قَالَتْ نَمْلَةٌ} منهم محذرةً قومها: {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ} ومملكتكم {لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا} يدرون ولا {يَشْعُرُونَ} وفي قوله تعالى يحطمنكم دلالة على صلابة القشرة الخارجية لأجسام النمل، حيث أنها قاسية تتكسر، ويتبيّن من

قول تلك النملة أنّ الله تعالى منح سليمان (عس) معرفة لغة الدواب بالإضافة إلى الطير {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا} وتحذيرها لقومها {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي} وامنحني وألهمني {أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ} أي نِعَمَك الكثيرة {الَّتِي أَنْعَمْتَ} ها {عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ} من قبل {وَ} وفقني لـ {أَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ} في الدنيا {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ} في الآخرة {فِي} ومع {عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} المتقين.

ثمّ قال تعالى: {وَتَفَقَّدَ} ناظرًا في تجمعات جنوده ومن {الطَّيْرَ} ليرى درجة انضباطهم {فَقَالَ} مستنكرًا: {مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ} متواجدًا وحاضرًا {أَمْ كَانَ مِنَ} تعداد {الْغَايِبِينَ} المتخلفين، ثمّ توعد قائلًا: {لأُعَذِّبَنَّهُ} عقوبةً {عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ} {أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ} وعُذرٍ وعِلمٍ واضح {مُّبِينٍ} لسبب تخلفه {فَمَكَثَ} منتظرًا حضوره {غَيْرَ بَعِيدٍ} أي زمنًا قصيرًا {فَقَالَ} الهُدهد لسليمان (عس) {أَحَطتُ} واطلعت على أمرٍ و {بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} أنت ولم تطلع عليه {وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ} في اليمن، وهي قرية بلقيس {بِنَبَإٍ} وخبرَ صدقٍ {يَقِينٍ} فـ {إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً} أي بلقيس {تَمْلِكُهُمْ} وتحكم أمرهم {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ} تحتاجه لتعزيز ملكها {وَلَهَا عَرْشٌ} وكُرسي كبير {عَظِيمٌ} و {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ} مشركين عابدين {لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ} تعالى {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} وضلالهم {فَصَدَّهُمْ} بكيده {عَنِ السَّبِيلِ} والصراط المستقيم {فَهُمْ} أبدًا {لا يَهْتَدُونَ} للحق والصراط المستقيم، ثمّ استنكر قائلًا {أَلاّ} أي وكيف لا {يَسْجُدُوا لِلَّهِ} تعالى {الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ} أي المستور وغير الظاهر البيّن من كل شيء كغيث

المطر {فِي السَّمَاوَاتِ} من السحاب {وَ} يخرج نبات ودواب {الأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ} في صدوركم {وَمَا تُعْلِنُونَ} بألسنتكم وأعمالكم، فهو {اللَّهُ} الذي {لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ} الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وهو {رَبُّ الْعَرْشِ} والملك والملكوت {الْعَظِيمِ} فـ {قَالَ} سليمان (عس) {سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ} فيما قلت {أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} فـ {اذْهَب} لهم {بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ} وانصرف {عَنْهُمْ فَانظُرْ} بعد ذلك {مَاذَا يَرْجِعُونَ} ويجيبون ويفعلون، فـ {قَالَتْ} لهم {يَا أَيُّهَا المَلأُ} وكبار القوم {إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} و {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ثمّ بيّن تعالى أمر سليمانُ (عس) قائلًا: {أَلا تَعْلُوا} ولا تستكبروا {عَلَيَّ} وعلى طاعتي {وَأْتُونِي} طائعين {مُسْلِمِينَ} مستسلمين.

الملخص: -

أشار تعالى إلى مِنَحِهِ لداوود وسليمان (عس) وبيَّن جانبًا من قصّة سليمان (عس) وبلقيس ملكة اليمن والهدهد، وأمرهم أن يأتوهُ مسلمين.

(٣٢-٤٤) استشارة الملكة قومها، واستنكار سليمان (عس) الهدية، وعزمه على قتالهم، والأمر بإحضار عرش الملكة، وانبهارها بالصرح وإعلان إسلامها.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ

الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي
مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ
بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ
فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا
المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا
آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ
مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا
مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ
فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
لا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن
قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ
كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ
إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

بيّن تعالى جانبًا من حوار ملكة سبأ لقومها قائلًا: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ} ووجهاء القوم {أَفْتُونِي} وأشيروا علي {فِي أَمْرِى} الذي ألقي إليَّ، ف {مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً} ولا

ماضيةً بفعل شيءٍ، ولا متخذةً قرارًا {حَتَّى تَشْهَدُونِ} وتشيرون، فـ {قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا} وأصحاب {قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ} وصبر وعزمٍ {شَدِيدٍ وَالأَمْرُ} راجعٌ {إِلَيْكِ فَانظُرِى} ما بدى لك و {مَاذَا تَأْمُرِينَ} فبيّنت لهم أمرًا لا بدّ من أخذه في الحسبان فـ {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً} عنوة وغصبًا {أَفْسَدُوهَا} وخربوها ودمروها {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا} مهانةً {أَذِلَّةً} ولا أريد أن يكون كذلك، وأكّد تعالى قولها قائلًا: {وَكَذَلِكَ} أي وبمثل ذلك {يَفْعَلُونَ} ولا يترددون، ثمّ قالت: {وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ} امتحانًا {فَنَاظِرَةٌ} بعد ذلك {بِمَ يَرْجِعُ} به {الْمُرْسَلُونَ} ويُشيرون {فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ} (ع‌س) المرسلون {قَالَ} غاضبًا {أَتُمِدُّونَنِ} وتأتوني {بِمَالٍ} وأنا أطلب إسلامكم {فَمَا آتَانِىَ اللَّهُ خَيْرٌ} وأفضل {مِّمَّا آتَاكُم} في سبأ {بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ} وعطيتكم {تَفْرَحُونَ} وتفخرون، ثمّ أمرهم قائلًا: {ارْجِعْ إِلَيْهِمْ} بهديتكم {فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ} مُغيرين عليهم {بِجُنُودٍ لا قِبَلَ} ولا قدرة {لَهُم بِهَا} ولا قوة {وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا} أي من قريتهم {أَذِلَّةً} مغلوبون {وَهُمْ صَاغِرُونَ} خانعون، ثمّ {قَالَ} لجنده {يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا} وكرسيّ مُلكها، لتعلم عظيم قدرتنا {قَبْلَ أَن يَأْتُونِى} مطيعين {مُسْلِمِينَ} مستسلمين؟ فـ {قَالَ عِفْريتٌ} ماردٌ {مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ} وأحضره إليك {قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن} مجلِسك و {مَّقَامِكَ} الذي أنت عليه {وَإِنِّى عَلَيْهِ} وعلى حمله {لَقَوِىٌّ} وفيٌ {أَمِينٌ} حفيظ، و {قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ} غزيرُ وفهمٌ ودرايةٌ {مِّنَ الْكِتَابِ} أي من الكتب التي أنزلها تعالى ولداوود وسليمان (ع‌س) وهو من الإنس، يعلم اسم الله تعالى الأعظم كما ورد في التفاسير {أَنَا آتِيكَ بِهِ} وأحضره إليك {قَبْلَ أَن

يَرْتَدَّ إِلَيْكَ} رَمشُ {طَرْفُكَ} وبصرك {فَلَمَّا رَآهُ} أي العرش {مُسْتَقِرّاً} حاضرًا {عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي} عليَّ {لِيَبْلُوَنِي} ويختبرني {أَأَشْكُرُ} وأَحمدُ نعمتهُ {أَمْ أَكْفُرُ} ها وأجحدها، ثمّ قال: {وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} أي لمصلحة نفسه في الدنيا والآخرة {وَمَن كَفَرَ} وجحد كما قال قارون في سورة القصص: {قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ} فله عذاب الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة القصص: {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ}﴿٨١﴾ ثم قال سليمان (ع‌س): {فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ} عن العالمين {كَرِيمٌ} للشاكرين، ثمّ أمر سليمان (ع‌س) و {قَالَ نَكِّرُوا لَهَا} وغيروا مَظهَر {عَرْشَهَا} لـ {نَنظُرْ أَتَهْتَدِي} وَتفطِنُ له {أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ} ولا ينتبهون {فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ} لها {أَهَكَذَا} هيئةُ {عَرْشُكِ} فـ {قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ} لما أحدثوه من تغيير، فقال سليمان (ع‌س) {وَأُوتِينَا الْعِلْمَ} بما ستقول {مِن قَبْلِهَا} أي قبل قولها {وَكُنَّا} بحمد الله {مُسْلِمِينَ} مصدقين، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَصَدَّهَا} عن الإيمان بالله تعالى {مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ} وسجودهم للشمس واتخاذها آلةً شركًا {إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ} والله تعالى لا يهدي القوم الكافرين لقوله تعالى في سورة البقرة: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾ ثمّ {قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ} وهو القصر الضخم المنفرد الطويل في السماء كما وردت المعاني في قاموس لسان العرب {فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ} وظنّت أنه في {لُجَّةً} أي في ماء غدير

{وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا} لتخوضه، ف {قَالَ} لها سليمان (عس) {إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ} مصقولٌ {مِّن قَوَارِيرَ} أي من زجاج، فانبهرت وعلمت أن ذلك ليس بقدرة بشر، وأنه من الله، و {قَالَتْ} مؤمنةً {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} بعبادة غير الله تعالى {وَأَسْلَمْتُ} وآمنت وصدقت {مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

الملخص: -

استشارت ملكة سبأ كبار قومها، واستنكر سليمان هديتها، وعزم على إخراجهم من قريتهم، وأمر بإحضار عرشها، فانبهرت بالصرح معلنةً إسلامها.

(٤٥-٥٩) ضرب المثل لتكذيب الأمم بقوم صالح ولوط (عس) والإشارة إلى عقوبتهما في الدنيا.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ

شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

أشار تعالى إلى تكذيب الأمم وعقوبتهم في الدنيا بقوم صالح ولوط (ع‌س) قائلًا: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} وبعثنا {إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ} للغتهم، والحريص على إسلامهم {صَالِحاً} (ع‌س) بشيرًا ونذيرًا فأمرهم قائلًا: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ} وحده، لا تشركوا به شيئًا {فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ} مؤمنٌ وكافر {يَخْتَصِمُونَ} يتباغضون ويتقاتلون، ف {قَالَ} صالح (ع‌س) لمن كفر منهم {يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ} وتطلبون العقوبة في الدنيا {قَبْلَ الْحَسَنَةِ} والجزاء الحسن لقوله تعالى عنهم في سورة الأعراف:ر{... وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ}﴿٧٧﴾ ثمّ نصحهم قائلًا: {لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ} تعالى من ذنوبكم وشرككم {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} في الدنيا قبل الآخرة، ف {قَالُوا} إنّا {اطَّيَّرْنَا} وتشاءمنا {بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ} من المؤمنين لما يصيبنا من ضُر، ف {قَالَ} بل سبب {طَائِرُكُمْ} وتشاؤمكم آتٍ من {عِندَ اللَّهِ} لشرككم وكفركم واستكباركم {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} وتُمتَحنون، ولعلهم يرجعون عن شركهم لقوله تعالى في سورة السجدة: {وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿٢١﴾ وليتبيّن الصادقين من الكاذبين لقوله تعالى في سورة

العنكبوت: {وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ}٤.

ثم بيّن تعالى حقيقة ما في صدورهم وسبب ضلالهم وعقوبتهم قائلًا: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ} من كبارهم ومترفيهم {يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ} بتكذيبهم رسولهم وصد الناس عن هدي الله تعالى {وَلا يُصْلِحُونَ} ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، و {قَالُوا تَقَاسَمُوا} واحلِفوا {بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ} ليلًا ونقتله غدرًا {وَأَهْلَهُ} أي ومن معه من المؤمنين {ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ} كذبًا وزورًا {مَا شَهِدْنَا} ولا علمنا شيئًا عن {مَهْلِكَ أَهْلِهِ} وقتلهم {وَإِنَّا} حقًا وصدقًا {لَصَادِقُونَ} غير كاذبون {وَمَكَرُوا مَكْراً} خبيثًا، ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله كما قال تعالى في سورة فاطر: {وَمَكَرْنَا} عليهم {مَكْراً} غليظًا شديدًا {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} فأهلكناهم بالصيحة {فَانظُرْ} وانظروا {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} جزاء وتبييت {مَكْرِهِمْ} فـ {أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ} وأهلكناهم {وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} لا يُرى بعدهم إلّا مساكنهم {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً} تشهد عليهم {بِمَا ظَلَمُوا} وجحدوا ومكروا {إِنَّ فِي ذَلِكَ} العذاب والدمار {لَآيَةً} ودليل وبرهان على مضي سننه تعالى بعقوبة الكافرين في الدنيا قبل الآخرة ونجاة المؤمنين {لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ويؤمنون {وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا} وكان حقًا علينا ننجي المؤمنين {وَكَانُوا يَتَّقُونَ} ويحذرون، تصديقًا لقوله تعالى في سورة الروم: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}٤٧.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا آخر لتكذيب الأمم وعقوبتهم قائلًا: {وَلُوطاً} (عس) {إِذْ} أي يوم أو لمّا {قَالَ لِقَوْمِهِ} مستنكرًا فعلتهم {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ} جهرًا {وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ} ولا تنكرون {أَإِنَّكُمْ} حقًا {لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء} أزواجكم {بَلْ} الحقيقة {أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} عظيم ذُنوبكم وعُقوبتكم في الدنيا قبل الآخرة {فَمَا كَانَ جَوَابَ} وسفاهة {قَوْمِهِ إِلا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ} فـ {إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} ويتنزهون {فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ} المؤمنين {إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ} العاصين {الْغَابِرِينَ} المهلكين {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً} من حجارة من سجين {فَسَاء مَطَرُ} وعذاب {الْمُنذَرِينَ} فـ {قُلِ} وقولوا معشر المؤمنين {الْحَمْدُ لِلَّهِ} على سننه التي يمضيها في الناس، وعدله وحكمته، وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى {وَسَلامٌ} وأمانٌ منه تعالى {عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} من النبيّين والمرسلين وعباده الصالحين في الدنيا والآخرة {آللَّهُ خَيْرٌ} المتكفِّل بإسعاد المؤمنين في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ {أَمَّا يُشْرِكُونَ} من أوثان، والذين لا يَخلقون شيئًا وهم يُخلقون، ولا ينفعون ولا يضرون، ولا يُمِيتُون ولا يُبعِثُون.

الملخص: –

ضرب تعالى المثل لتكذيب الأمم بقوم صالح ولوط (عس) وأشار إلى عقوبتهما في الدنيا.

(٦٠-٧٥) محاجّة الكافرين والمشركين، والإشارة إلى بعض آياته تعالى الدالة على ألوهيته وربوبيته ووحدانيته.

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمِونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ

رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلاّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

استنكر تعالى كفر الكفرة وإشراك المشركين قائلًا أولًا: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ} أي أخبروني من خلق السماوات السبع وما فيهما من نجوم وكواكب ومجرَّات {وَالأَرْضَ} وما فيها من جبال وأنهار وأشجار وثمار، ثانيًا: {وَأَنزَلَ لَكُم} بإبداع خلقه وتدبيره {مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً} تشرُبه دوابُّكم وأنفُسكم {فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ} كثيرة {ذَاتَ بَهْجَةٍ} وغبطة وسرور {مَّا كَانَ لَكُمْ} ولا باستطاعتكم {أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا} من لا شيء، والله تعالى خلقها أوّل مرة، ويُعيد خلقها من بذورها مرات ومرات {أَ} تظنون بعد ذلك أنّ {إِلَهٌ} آخر {مَّعَ اللَّهِ بَلْ} الحقيقةُ أنّ {هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} ويعرضون عن الحق ويصدون، ثالثًا: {أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً} غير مضطربة {وَجَعَلَ خِلالَهَا} بإبداع خلقه وتدبيره {أَنْهَاراً} عذبةً فراتًا {وَجَعَلَ لَهَا} جبالًا {رَوَاسِيَ} أوتادًا شامخاتٍ مُوزِناتٍ، رابعًا: {وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ} المالحين {حَاجِزاً} برزخًا، لا تبغي خواص بعضها على بعض {أَإِلَهٌ} بعد ذلك {مَّعَ اللَّهِ} كما تدعون وتزعمون {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} عظيم ابداعه تعالى وتدبيره لإصلاح عيشهم فيها، خامسًا: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} عند الأزمات والكربات {وَيَكْشِفُ السُّوءَ} والأمراض والمصائب وما تكرهون، سادسًا: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ} أمّة بعد أمّة {أَإِلَهٌ} بعد ذلك {مَّعَ اللَّهِ} يفعل كل ذلك، كلا، ولكن {قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} وتتفكرون وتفطنون.

سابعًا: {أَمَّن يَهْدِيكُمْ} بالعلامات والنجوم {فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} ثامنًا: {وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً} وسرورًا، وبالمطر {بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} وإحسانه وفضله {أَإِلَهٌ} بعد ذلك كلِّه {مَّعَ اللَّهِ} {تَعَالَى اللَّهُ} وتعاظم وتكبر وتجلى وتقدس وتنزه {عَ} ن كل {مَّا يُشْرِكُونَ} ويأفكون ويكذبون، تاسعًا: {أَمَّن يَبْدَأُ} كل {الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} مرات ومرات بتكاثره في الدنيا، ثمّ في الآخرة للحساب والجزاء، عاشرًا: {وَمَن يَرْزُقُكُم} بكل ما تحتاجون لضمان عَيشِكم {مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} {أَإِلَهٌ} آخر بعد ذلك {مَّعَ اللَّهِ} ف {قُلْ} وقولوا لهم {هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} وأدلتكم وبراهينكم {إِن كُنتُمْ} حقًا {صَادِقِينَ} بكفركم وشرككم، ثمّ {قُل} وقولوا: {لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} من خلائق و {الْغَيْبَ إِلاّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ} ولا يدركون {أَيَّانَ} ومتى {يُبْعَثُونَ} للحساب والجزاء {بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ} وتتضح لهم حقيقة ما وُعدوا {فِي الأخِرَةِ} حيث لا ينفعهم ندم ولا استغفار {بَلْ هُمْ} اليوم في الدنيا {فِي شَكٍّ مِّنْهَا} وأجلِها {بَلْ} الحقيقة أنّ {هُم مِّنْهَا عَمِونَ} أي أعماهم تعالى بسبب كفرهم واستكبارهم، لقوله تعالى في سورة البقرة: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}۝٧.

ثمّ استنكر تعالى قولهم قائلًا: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا} حقًا {لَمُخْرَجُونَ} للحساب والجزاء {لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ} ثمّ جزموا قائلين: {إِنْ هَذَا} أي القول {إِلاّ أَسَاطِيرُ} وخرافات {الأَوَّلِينَ} الغابرين الهالكين، ف

{قُلْ} وقولوا لهم: {سِيرُوا فِي} جنبات {الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء المكذِّبين {الْمُجْرِمِينَ} على مر التاريخ، كقوله تعالى في سورة الفجر: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}۝١٤ ثمّ قال تعالى: {وَلا تَحْزَنْ} ولا تحزنوا أبدًا {عَلَيْهِمْ} وعلى ما يصيبهم من عقوبات {وَلا تَكُن} ولا تكونوا أبدًا {فِي ضَيْقٍ} ولا حُزنٍ ولا أسى {مِّمَّا يَمْكُرُونَ} ويستهزؤون، فما يحيق المكر السيء إلّا بأهله {وَيَقُولُونَ} عاصين منكرين {مَتَى} يكون {هَذَا الْوَعْدُ} بالبعث والحساب {إِن كُنتُمْ} حقًا {صَادِقِينَ} فـ {قُلْ} وقولوا {عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ} وقُرِّبَ وعُجِّل {لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ} من عقوبة في الدنيا، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ} إذ يرزقهم ولا يعاجلهم بالعقوبة، وليكونوا على بينة ووضوح، لقوله تعالى في سورة الأنفال: {... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}۝٤٢ {وَلَكِنَّ} أسفًا {أَكْثَرَهُمْ لا} يحمدون ولا {يَشْكُرُونَ} ثمّ جزم تعالى قائلًا: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ} حقًا {مَا تُكِنُّ} وما تخفي {صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} ويفعلون {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ} عن الأبصار والأفهام {فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلاّ} وهي معلومةٌ مسطرةٌ مسجلةٌ {فِي كِتَابٍ} واضحٍ جليٍ {مُّبِينٍ}.

الملخص: -

ودحض تعالى حجج الكافرين والمشركين، وأشار إلى بعض آياته وبراهينه الدالة على ألوهيته وربوبيته ووحدانيته.

(٧٦-٩٣) الإشارة إلى بعض خصائص القرآن العزيز، وتأكيد أن الهداية لله وحده، والإشارة إلى أمارة من أمارات الساعة، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ} ويبيّن لهم {أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} في دينهم، والعهد الذي أُخذ عليهم بالإيمان بالرسول ﷺ، ثانيًا: {وَإِنَّهُ لَهُدًى} في العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات {وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} في الدارين لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ ثمّ أكّد تعالى قائلًا أولًا: {إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى} ويحكم {بَيْنَهُم} يوم القيامة {بِحُكْمِهِ} وعدله {وَهُوَ الْعَزِيزُ} الغالب على أمره، وفي كل اسمائه صفاته، وليس كمثله شيء {الْعَلِيمُ} بكل شيء {فَتَوَكَّلْ} وتوكلوا {عَلَى اللَّهِ} تعالى بنصركم، وإقامة شرع دينكم في الأرض ف {إِنَّكَ} وإنكم {عَلَى الْحَقِّ} الواضح {الْمُبِينِ} بالأدلة والبراهين، ثانيًا أكّد قائلًا: {إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء} ولا النداء {إِذَا وَلَّوْا} بظهورهم {مُدْبِرِينَ} ثالثًا: {وَمَا أَنتَ} أبدًا {بِهَادِى الْعُمْىِ عَن ضَلالَتِهِمْ} وكفرهم لقوله تعالى في سورة البقرة: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾ ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِن تُسْمِعُ} حقًا{ إِلاّ مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا} وأدلتنا في السماوات والأرض {فَهُم مُّسْلِمُونَ} موقنون، ثم أشار تعالى إلى أمارةٍ من أمارات الساعة قائلًا:

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ} وحان أجله {أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً} قيل هي الجساسة {مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ} تقول: {أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِئَايَـٰتِنَا} في السماوات والأرض {لا} يؤمنون ولا {يُوقِنُونَ} ويكون خروجها قبل خروج الدجال الذي سيجوب الأرض، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أنس بن مالك (رلع) عن النبي ﷺ قال:" ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نِقابها نِقب، إلا عليه الملائكةَ صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيُخرج الله كل كافر ومنافق".

ثم حذّر تعالى قائلًا: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً} وجماعةً {مِّمَّن يُكَذِّبُ بِئَايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ} ويُجمَعون {حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِئَايَـٰتِى} في الدنيا {وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً} ولا فهمًا {أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} {وَوَقَعَ} وحقّ {الْقَوْلُ عَلَيْهِم} بالعذاب {بِمَا ظَلَمُوا} وكفروا {فَهُمْ لا يَنطِقُونَ} ولا يُعذرون {أَ} فـ {لَمْ يَرَوْا أَنَّا} بإبداع تدبيرنا {جَعَلْنَا اللَّيْلَ} مستراحًا {لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ} مضيئًا {مُبْصِراً} لكسب أرزاقهم {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ} وبراهين على عظيم تدبير خلقه وابداعه {لِّقَوْمٍ} حقًا {يُؤْمِنُونَ} ثمّ حذّر تعالى قائلًا: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ} أي النفخة الثانية {فَفَزِعَ} وذُعر {مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ} كقوله تعالى في سورة الزمر: {وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴿٦٨﴾ {إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ} مرغمين {دَاخِرِينَ} مذعنين، ثم أشار تعالى لدوران الأرض حول نفسها قائلًا: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} ساكنة {وَهِىَ} حقيقةً {تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} بدوران الأرض، فذلك

{صُنْعَ} وخلق {اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ} وأبدع خَلق {كُلَّ شَىْءٍ} في السماوات والأرض {إِنَّهُ} تعالى {خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} وتقولون وتكسبون.

فـ {مَن جَاء} في الآخرة {بِالْحَسَنَةِ} مؤمنًا وعاملًا للصالحات {فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا} في الدنيا والآخرة {وَهُم مِّن فَزَعٍ} وخوفٍ {يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} {وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ} والكفر ومُنكرِ الأعمال {فَكُبَّتْ} وقذفت {وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ} ويقال لهم: {هَلْ تُجْزَوْنَ} اليوم {إِلاَّ} بـ {مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وقل: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ} ونعبد {رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ} أي مكّة المكرمة {الَّذِى حَرَّمَهَا} بدعوة إبراهيم (ع‌س) لقوله تعالى في سورة إبراهيم: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴿٣٥﴾ {وَلَهُ} تعالى خلق {كُلُّ شَىْءٍ} في السماوات والأرض {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} المؤمنين {وَأَنْ أَتْلُوَ} وأقرأ {الْقُرْآنَ} على الناس ليؤمنوا وليقيموا شرعه تعالى في الأرض {فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى} {لِـ} مصلحة {نَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ} وأعرض {فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا} ونحن {مِنَ الْمُنذِرِينَ} {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ} وأدلته وبراهينه وما وعدتم به {فَتَعْرِفُونَهَا} كقوله تعالى في سورة فصلت: {سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴿٥٣﴾ {وَمَا رَبُّكَ} أبدًا {بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} سرًا وجهرًا.

الملخص: -

أشار تعالى إلى بعض خصائص القرآن العزيز، وأكّد أن الهداية له وحده، وأشار إلى أمر من أمارات الساعة، وبيّن جزاء المؤمنين والكافرين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القصص ترتيبها (٢٨) آياتها (٨٨)

(١-١٣) القسم بأن القرآن العزيز مبينًا للحق إشارة إلى سننه تعالى بنصر رسله والمؤمنين في الدنيا والآخرة، وضرب المثل بموسى (ع‌س) وفرعون.

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ آيَاتُ الۡكِتَابِ الۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُوا عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرۡعَوۡنَ بِالۡحَقِّ لِقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلا فِي الأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعاً يَسۡتَضۡعِفُ طَايِفَةً مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَاءهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِي نِسَاءهُمۡ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسۡتُضۡعِفُوا فِي الأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَيِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ الۡوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي الأَرۡضِ وَنُرِى فِرۡعَوۡنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُوا يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنۡ أَرۡضِعِيهِ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي الۡيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحۡزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالۡتَقَطَهُ آلُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِيِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقۡتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوۡ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمۡ لا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِى بِهِ لَوۡلا أَن رَّبَطۡنَا عَلَى قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتۡ لأُخۡتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتۡ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمۡ لا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ الۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَى أَهۡلِ بَيۡتٍ يَكۡفُلُونَهُ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾

يقسم تعالى قائلًا: {طسّمّ} لما للحروف من أهمية في كتابة اللغة والعلوم عامة، وعلوم الدين خاصّة، وجواب القسم: {تِلْكَ} أي هذه {آيَاتُ} وأدلة وبراهين {الْكِتَابِ} أي القرآن العزيز {الْمُبِينِ} للحق ولسننه تعالى التي يمضيها بنصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة غافر: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ}﴿٥١﴾ {نَتْلُوا} ونقصُّ {عَلَيْكَ} وعلى أمتك للاعتبار {مِن نَّبَإِ} وخبر {مُوسَى} (ع‌س) {وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ} والصدق {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} مصدِّقون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا} وتكبر وتجبر {فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ} من ظلمه {أَهْلَهَا شِيَعاً} وفرقًا {يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ} أي بني إسرائيل فـ {يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ} للرؤيا التي رآها في منامه أن نارًا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القِبط وتركت بني إسرائيل، وعُبر له بأنه يخرج من البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك مصر كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا {إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} في الأرض.

ثمّ قال: {وَنُرِيدُ} بسننا أولًا: {أَن نَّمُنَّ} ونُنعِم ونبارك {عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ} أي بني إسرائيل، ثانيًا: {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} أي أنبياء وملوكًا لقوله تعالى في سورة المائدة: {وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ}﴿٢٠﴾ وذلك لما في التوراة من هدى ونور لقوله تعالى في سورة المائدة: {إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ

ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ...}﴿٤٤﴾ ثالثًا: {وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} للملك بعد استعبادهم، رابعًا: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ} ونقيم دينهم ودولتهم، خامسًا: {وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ} ويخافون من زوال مُلكهم.

ثمّ أشار تعالى لرعايته لموسى (ع‌س) من يوم مولده قائلًا: {وَأَوْحَيْنَا} إلهامًا {إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} بعد ولادته {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ} من فرعون وملئه {فَأَلْقِيهِ} وضعيه في التابوت ثم {فِي الْيَمِّ} أي النهر، واطمئني {وَلا تَخَافِي} أبدًا {وَلا تَحْزَنِي} عليه، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّا} حتمًا {رَادُّوهُ إِلَيْكِ} مرةً أخرى لرعايته {وَجَاعِلُوهُ} بعد ذلك {مِنَ الْمُرْسَلِينَ} وفي ذلك إشارة للرؤيا التي تراها أمهات النبيين باصطفاء أبنائهن، لما ورد في مسند الإمام أحمد عن العرباض بن سارية السلمي (ر‌ع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمُنجَدِلٌ في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبِشارَة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النَّبِيّين صلوات الله عليهم".

{فَالْتَقَطَهُ} وأخذه {آلُ فِرْعَوْنَ} لرعايته و {لِيَكُونَ لَهُمْ} فيما بعد {عَدُوّاً وَحَزَناً} وخزيًا وهلاكًا، ثمّ بيّن تعالى سبب ذلك قائلًا: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} متجبرين {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ} شافعةً لموسى (ع‌س) {قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ} حيث لم يرزقوا الولد {لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا} في ملكنا {أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً} ووزيرًا {وَهُمْ لا

يَشْعُرُونَ} بمراده تعالى وزول ملكهم {وَأَصْبَحَ} بذلك {فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى} آمنًا{ فَارِغاً} من الخوف و {إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ} وتخبر آل فرعون أنه ولدها {لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} وثبتناها بكتمان خبره و {لِتَكُونَ} هي بعد ذلك {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {وَقَالَتْ} أمُّ موسى (عس) {لأُخْتِهِ قُصِّيهِ} وتتبعي خبره {فَبَصُرَتْ بِهِ} ترقُبُه {عَن جُنُبٍ} أي خِلسة {وَهُمْ} أي قوم فرعون {لا يَشْعُرُونَ} ولا ينتبهون.

ثم أشار تعالى لرعايته لموسى (عس) قائلًا: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ} كل {الْمَرَاضِعَ} من النساء {مِن قَبْلُ فَقَالَتْ} أُخته: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ} ويرعونه {لَكُمْ وَهُمْ لَهُ} أمناء {نَاصِحُونَ} {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ} وتستريح {عَيْنُهَا} ويهدأ قلبها {وَلا تَحْزَنَ} عليه {وَلِتَعْلَمَ} يقينًا {أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ} لها بإرجاعه إليها {حَقٌّ} وصدق {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} أي الناس {لا يَعْلَمُونَ} ولا يعرفون أنّ له تعالى الخلق والأمر كما قال تعالى في سورة الأعراف:{... أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ ...}﴿٥٤﴾.

الملخص: –

أقسم تعالى بأن القرآن العزيز مبين للحق، ونصره تعالى لرسله والمؤمنين في الدنيا والآخرة، وضرب المثل بخبر موسى (عس) وفرعون.

(١٤-٢٢) الإشارة إلى قتل موسى(عس) لرجل من فرعون وندمه واستغفاره، وعزم فرعون على قتله، وهروبه لمدين.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِى الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاء السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾

ذكر تعالى مننًا أخرى على موسى (عس) وتهيئته للنبوة فقال: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} أي استكمل قواه {وَاسْتَوَى} أي ونضج عقله ورأيه {آتَيْنَاهُ} ووهبناه {حُكْماً} سديدًا قِسطًا وعدلًا فيما يختلف فيه النّاس وشؤنهم {وَ} آتيناه {عِلْماً} رزينًا مرموقًا {وَكَذَلِكَ} وبمثل ذلك الفضل {نَجْزِى} ونكافئ كل {الْمُحْسِنِينَ} من النّاس في الدارين، لقوله تعالى في

سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}٦٤ {وَدَخَلَ} موسى (ع‌س) {الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ} وسكون {مِّنْ أَهْلِهَا} كقيلولة الظُهر {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ} شجارًا ف {هَذَا} الأول {مِن شِيعَتِهِ} وأنصاره، أي من بني إسرائيل {وَهَذَا} الثاني {مِنْ عَدُوِّهِ} أي من آل فرعون {فَاسْتَغَاثَهُ} واستنصره {الَّذِى مِن شِيعَتِهِ} وعلى ملته {عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ} فاستماله الشيطان {فَوَكَزَهُ مُوسَى} بضربةٍ {فَقَضَى عَلَيْهِ} وأرداه ميتًا، ف {قَالَ} تعالى {هَذَا مِنْ عَمَلِ} واستمالة {الشَّيْطَانِ} ثمّ أكّد قائلًا: {إِنَّهُ عَدُوٌّ} لبني آدم {مُّضِلٌّ} صريحٌ ظاهرٌ {مُّبِينٌ} ف {قَالَ} مستدركًا: {رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى} أي بقتل الرجل {فَاغْفِرْ لِى} خطيئتي {فَغَفَرَ لَهُ} تعالى {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ} لمن تاب وأناب {الرَّحِيمُ} الذي لا يعجل بالعقوبة، ف {قَالَ} شاكرًا حامدًا {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ} وتفضّلت وتكرمت {عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ} أبدًا {ظَهِيراً} وعونًا وغوثًا {لِّلْمُجْرِمِينَ} المفسدين {فَأَصْبَحَ} موسى (ع‌س) {فِى الْمَدِينَةِ} من مصر {خَائِفاً} القصاص {يَتَرَقَّبُ} الأمر جزاء صنيعه من فرعون {فَإِذَا} فجأةً {الَّذِى اسْتَنصَرَهُ} من شيعته وطلب عونه {بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ} مرةً أخرى طالبًا عونه على رجل آخر من آل فرعون، ف {قَالَ لَهُ مُوسَى} ناهرًا زاجرًا {إِنَّكَ} حقًا {لَغَوِىٌّ} مضلٌ واضحٌ {مُّبِينٌ} {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ} أي موسى (ع‌س) {أَن يَبْطِشَ} ويقسوا {بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا} ظنّ الذي من شيعته أنه يريد البطش به و {قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ} الآن {أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ} فانتشر خبر قتله للرجل

من آل فرعون، وتابع قائلًا لموسى (عس): {إِن تُرِيدُ إِلاّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً} طاغيًا مُفسِدًا {فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ} أبدًا {أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} المستقيمين.

{وَجَاء رَجُلٌ} لموسى (عس) {مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ} مشفقًا {يَسْعَى} مُسرعًا، قد علم عزم فرعون على قتل موسى (عس) فـ {قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ} من اتباع فرعون {يَأْتَمِرُونَ بِكَ} ويتشاورون {لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ} من مِصر فـ {إِنِّي لَكَ} حقًا {مِنَ النَّاصِحِينَ} المحبين {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً} مرعوبًا فزعًا {يَتَرَقَّبُ} الرَّصد والطلب فـ {قَالَ} داعيًا ربه {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أي من قوم فرعون {وَلَمَّا تَوَجَّهَ} وسار هاربًا {تِلْقَاء} ونحو مدينة {مَدْيَنَ} في الشام {قَالَ} داعيًا ربه {عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي} ويرشدني {سَوَاء} وأحسن وأفضل {السَّبِيلِ} للخروج من مصر وبلوغ مدين، ويستفاد من أدعية موسى (عس) المتتالية عند خروجه من مصر، وعند توجهه لمدين استحباب الدعاء لبلوغ المقاصد.

الملخص: -

أشار تعالى لقتل موسى(عس) رجل من فرعون وندمه واستغفاره، وافتضاح أمره، وعزم فرعون على قتله، وهروبه قاصدًا مدين.

(٢٣-٢٨) وُصول موسى (ع‌س) لمدين، وسقيه غنم المرئيتين، وعرض شعيب تزويجه إحدى ابنتيه مقابل خدمته لثمان أو عشر سنين.

وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

أشار تعالى لتدبيره لموسى (ع‌س) قائلًا: {وَلَمَّا وَرَدَ} ووصل {مَاء} مدينة {مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً} وجمعًا غفيرًا {مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} مواشيهم {وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ} وبعيدًا عنهم {امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} تمنعان غنمهما من الماء فـ {قَالَ مَا خَطْبُكُمَا} وما شأنكما إذ لا تسقون الغنم، فـ {قَالَتَا لا نَسْقِي} ولا نَرِد الماء {حَتَّى يُصْدِرَ} ويذهب {الرِّعَاءُ} بغنمهم، أي خشية مخالطة الرجال، وبيّنا له سبب خروجهما لسقي الغنم وقالتا {وَأَبُونَا شَيْخٌ} عاجزًا عن رعي الغنم {كَبِيرٌ} في السن {فَسَقَى لَهُمَا} الغنم {ثُمَّ تَوَلَّى} قاصدًا {إِلَى الظِّلِّ} يستريح

{فَقَالَ} داعيًا ربه {رَبِّ إِنِّي لِمَا} منحتني و {أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ} عميم، فلم أزل لجودك وفضلك وعونك مشفقٌ {فَقِيرٌ} فأشار تعالى إلى منةٍ ونعمةٍ أخرى قائلًا: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء} و {قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ} ويطلبك ويستدعيك {لِيَجْزِيَكَ} ويكافئك {أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} غنمنا {فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} عن مصر، وبني إسرائيل وفرعون وقتله أبنائهم واستحيائه نسائهم، وقتلُه للرجل، وهروبه خشية البطش والقتل، فطمئنه و {قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ} بوصولك لمدين {مِنَ} بطش وملاحقة وطلب {الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} في مصر، أي فليس لفرعون سلطة على مدين، فـ {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} يعمل لنا راعيًا للغنم والقيام بشؤونها، فـ {إِنَّ} إي موسى (ع‌س) {خَيْرَ} وأحسن وأفضل {مَنِ اسْتَأْجَرْتَ} لتلك المهمة، لما رأت منه من أدب وحشمة وحسن تصرف، وهو {الْقَوِيُّ} على حمل المسؤولية {الأَمِينُ} على ما أتمن عليه، وورد في تفسير مقاتل بن سليمان أنّ أباها سألها: من أين علمت قوته؟ وأمانته؟ قالت: أزال الحجر وحده عن رأس البئر وكان لا يطيقه إلا رجال، وأمرها أن تمشي خلفه كراهية أن ينظر إليها، فـ {قَالَ} لموسى (ع‌س) {إِنِّي أُرِيدُ} وعزمت على {أَنْ أُنكِحَكَ} وأزوجك {إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن} أي بشرط أن {تَأْجُرَنِي} وتخدمني {ثَمَانِيَ حِجَجٍ} من السنين ترعى الغنم وتقوم بشأنها {فَإِنْ أَتْمَمْتَ} في خدمتنا {عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ} وجودك وإحسانك {وَمَا أُرِيدُ} بذلك الشرط {أَنْ أَشُقَّ} مذلةً ولا عنوةً {عَلَيْكَ} فـ {سَتَجِدُنِي} وترى مني ومن أمري {إِن شَاء اللَّهُ} أن أكون {مِنَ الصَّالِحِينَ} الصادقين، فقبل موسى (ع‌س) و {قَالَ} فـ {ذَلِكَ} العهد والشرط {بَيْنِي وَبَيْنَكَ} لا نُخلفه، ثمّ اشترط قائلًا: {أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ} أي

الثمان أو العشر سنين {قَضَيْتُ} ووفيت وأتممت {فَلا عُدْوَانَ} ولا إلزامًا {عَلَيَّ} بعدها، ثمّ أشهد موسى (عس) ربه قائلًا: {وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ} ونلتزم به {وَكِيلٌ} يقص الحق وهو خير الفاصلين.

الملخص: -

وصل موسى (عس) مدينة مدين، وسقى غنم المرئيتين، وعرض أبوهما شعيب تزويجه من إحدى ابنتيه مقابل خدمته لثمان أو عشر سنين.

(٢٩-٣٧) تَوجُه موسى (عس) مع أهله لمصر، وتكليفه بحمل الرسالة عند جبل الطور، وشفاعته لأخيه هارون (عس) ليكون عونًا له.

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا

الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

أشار تعالى إلى مكان وزمان اصطفاء موسى (ع‌س) وذلك عند رجوعه من مدين متجهًا لمصر قائلًا: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ} والمدة التي اتفق عليها مع شعيب، وقيل أنه أتم العشر سنوات {وَسَارَ بِأَهْلِهِ} نحو مصر شتاءً {آنَسَ} وأحسَّ ليلًا {مِن جَانِبِ} جبل {الطُّورِ} بسيناء {نَاراً} فـ {قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا} وابقوا مكانكم وفي ورحلكم فـ {إِنِّي آنَسْتُ} ورأيت {نَاراً} فـ {لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ} للطريق ومن حولها {أَوْ جَذْوَةٍ} أي أو آتيكم بشعلةٍ حطبٍ {مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} وتتدفؤون {فَلَمَّا أَتَاهَا} ووصل عندها {نُودِيَ} من الله تعالى {مِن شَاطِئِ} وجانب {الْوَادِي الأَيْمَنِ} بالنسبة لموسى (ع‌س) متجهًا لمصر {فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ} التي نادى تعالى موسى (ع‌س) وخاطبه {مِنَ الشَّجَرَةِ} أي مجموعة الشجر في تلك البقعة، وقيل هي أشجار الزيتون كونها شجرة مباركة، أو شجر العوسج كما ورد في التفاسير، قائلًا: {أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ} وخالق ومالك {الْعَالَمِينَ} ومعطي كلَّ شيءٍ في السماوات والأرض وما بينهما خلقه وصورته وخواصَّه وهداه ليقوم بوظيفته {وَأَنْ أَلْقِ} واطرح {عَصَاكَ} على الأرض {فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ} متحولة لثعبان و {كَأَنَّهَا جَانٌّ} من الجِن {وَلَّى} راجعًا {مُدْبِراً} نحو أهله {وَلَمْ يُعَقِّبْ} أي دون تمهلٍ ولا تريث، فناداه تعالى قائلًا: {يَا مُوسَى أَقْبِلْ} وارجع {وَلا تَخَفْ} ولا تجبن فـ {إِنَّكَ} عندي

مصطفًا وأنت {مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ} في الدنيا والآخرة، ولا يخاف لدي المرسلون، و {اسْلُكْ} أي وأدخل كفّ {يَدَكَ فِي جَيْبِكَ} تحت ابطك {تَخْرُجْ بَيْضَاءَ} ناصعةً {مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} ولا مرض ولا علّة {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ} ماسكًا عَضُديك {مِنَ الرَّهْبِ} أي لِيُذهب ما تجد من الخوف {فَذَانِكَ} وذلك {بُرْهَانَانِ} وآيتان ودليلان بصدق رسالتك {مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ} وكبار قومه {إِنَّهُمْ كَانُوا} زمنًا طويلًا {قَوْماً فَاسِقِينَ} عاصين مستكبرين، فـ {قَالَ} موسى (ع‌س) مستدركًا {رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً} من القبط من آل فرعون {فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} قصاصًا، ثمّ شفع لأخيه قائلًا: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً} ونُطقًا وحديثًا لتبليغ رسالتك {فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً} وعضدًا وعونًا {يُصَدِّقُنِي} ويؤيدني عند فرعون وملئه فـ {إِنِّي أَخَافُ} وأخشى {أَن يُكَذِّبُونِ} ولا يصدقون فـ {قَالَ} تعالى {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ} وأزرك عونًا ونصرًا {بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً} وحجة وبرهانًا {فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا} بضُرٍ ولا أذًا ولا غلبةً فـ {بِـَٔايَٰتِنَآ} ومعجزاتنا وأدلتنا وبراهيننا وسننا {أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا} من بني إسرائيل {الْغَالِبُونَ} الظافرون المنتصرون، تصديقًا لسننه تعالى التي يمضيها في الناس في قوله تعالى في سورة غافر: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ}﴿٥١﴾.

{فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِـَٔايَٰتِنَا} ومعجزاتنا وبراهيننا {بَيِّنَاتٍ} واضحات {قَالُوا} أي فرعون ملئه {مَا هَذَا إِلاّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى} مكذوبًا مُلفقًا {وَمَا سَمِعْنَا} أبدًا {بِهَذَا} الذي تدعوننا لعبادته {فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ} الغابرين {وَقَالَ مُوسَى} (ع‌س) لهم: {رَبِّي أَعْلَمُ} حقًا {بِمَن جَاء

بِالْهُدَى} والرشاد {مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} الحسنة في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ {إِنَّهُ} أبدًا {لا يُفْلِحُ} ولا يفوز {الظَّالِمُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الرعد:{... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ}﴿٣١﴾.

الملخص: -

تَوجَّه موســـى (ع‌س) مع أهله لمصـــر، وكلَّفه تعالى بحمل الرســـالة عند جبل الطور، وشفع لأخيه هارون (ع‌س) ليكون عونًا له.

(٣٨-٤٦) ادعاء فرعون الألوهية واستكباره وجنوده، ومضي سننه تعالى فيهم، وتأكيد أنّ الإخبار عن الأمم السابقة دليل على صدقه ﷺ.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّى صَرْحاً لَّعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ} كذباً وزورًا {يَا أَيُّهَا الْمَلأُ} ووجهاء القوم {مَا عَلِمْتُ لَكُم} أبدًا { مِّنْ إِلَهٍ} ومالكٍ للسلطان {غَيْرِى} ثمّ أراد تكذيب موسى (ع‌س) فأمر قائلًا: {فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل} وشيد {لِّي صَرْحاً} أي بناءً ضخمًا مميزًا عاليا في السماء {لَّعَلِّي أَطَّلِعُ} وأنظر {إِلَى إِلَهِ} ورب {مُوسَى} الذي يدعوننا لعبادته {وَإِنِّي لأَظُنُّهُ} جزمًا وقطعًا إنّه {مِنَ الْكَاذِبِينَ} المفترين {وَاسْتَكْبَرَ} واستعلى وتجبر {هُوَ وَجُنُودُهُ} على الله تعالى وعلى النّاس {فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} باستعباده بني إسرائيل وتسخيرهم لمصالحه ولأهل مصر، وقتله أبناء بنائهم واستبقاء نسائهم {وَظَنُّوا} بما لديهم من قوة وسلطان {أَنَّهُمْ إِلَيْنَا} أبدًا {لا يُرْجَعُونَ} أحياءً بعد الموت، ولا يحاسبون ولا يعاقبون، فأمضى تعالى سننه فيهم قائلًا: {فَأَخَذْنَاهُ} وأغرقناه هو {وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ} وقذفناهم {فِي الْيَمِّ} من البحر {فَانظُرْ} وانظروا {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء {الظَّالِمِينَ} المفسدين كقوله تعالى في سورة الأنفال: {كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ}﴿٥٤﴾ ثمّ قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ} في الآخرة {أَئِمَّةً} للمُضِلّين {يَدْعُونَ} الناس {إِلَى} عذاب {النَّارِ} حاملين أوزارهم ومن أضلوا بغير

علم {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} هم أبدًا {لا يُنصَرُونَ} ولا يُستصرخون ولا يُنقذون {وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} وهلاكًا ودمارًا، وأورثنا الأرض من بعدهم قومًا أخرين {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ} المطرودين المدحورين.

ثمّ أشار تعالى لفضله على موسى (ع‌س) وقومه قائلًا: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} أي التوراة {مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ} والأمم {الأُولَى} من قبلهم كقوم نوح وهود وصالح فيها {بَصَائِرَ} ومواعظ وعِبر {لِلنَّاسِ وَهُدًى} ورشادًا {وَرَحْمَةً} لما يختصمون بينهم {لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} نعم الله تعالى فيشكرون ويؤمنون.

ثمّ أكّد تعالى أن إخبار رسوله ﷺ تفاصيل خبر موسى (ع‌س) دليلٌ على صدقه ﷺ فقال أولًا: {وَمَا كُنتَ} أبدًا حاضرًا في سيناء {بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} من الطور {إِذْ قَضَيْنَا} وأنزلنا {إِلَى مُوسَى الأَمْرَ} والوحي عند رجوعه وأهله إلى مصر، ورؤيته النار، وأمره أهله بالبقاء في رحلهم، وخبر العصى وبياض اليد، لتخبرهم عن مكان وزمان تكليف موسى (ع‌س) بالرسالة، ودعوة فرعون وملئه للإيمان بالله تعالى، ثانيًا: {وَمَا كُنتَ} أبدًا {مِنَ الشَّاهِدِينَ} لما كان بينه وبين فرعون وملئه وهلاكهم في البحر.

ثمّ أشار تعالى لأسباب ضلال العرب وتكذيبهم قائلًا: {وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً} وأممًا كثيرة قبلهم {فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} بانقطاع الوحي، وذهاب العلم، وتحرف الدين ونسيانه، والعبث بالأحكام الشرائع، وتكذيبهم بالآخرة، ثالثًا: {وَمَا كُنتَ} أبدًا {ثَاوِياً} ومقيمًا {فِي أَهْلِ مَدْيَنَ} لتقص عليهم خبر موسى (ع‌س) وشعيب والشرط بينهم، وزواج

موسى (عس) من بنت شعيب ف {تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} وتخبرهم خبرهم، والسنن التي مضت في فرعون وملئه، ثمّ أكّد تعالى بعثة رسوله ﷺ قائلًا: {وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} بقصص وخبر الغابرين، رابعًا: {وَمَا كُنتَ} شاهدًا ولا حاضرًا {بِجَانِبِ الطُّورِ} لتعلم حقيقة ما كان {إِذْ نَادَيْنَا} وكلفنا موسى (عس) الرسالة، وشفاعته لأخيه هارون(عس) {وَلَكِن} أوحينا كل ذلك {رَّحْمَةً} لهم {مِّن رَّبِّكَ} و {لِتُنذِرَ قَوْماً} أي أم القرى ومن حولها والذين {مَّا أَتَاهُم مِّن} بشير ولا {نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ} وعساهم {يَتَذَكَّرُونَ} ويتدبرون فيتعظون ويؤمنون.

الملخص: -

ادعى فرعون الألوهية واستكبر هو وجنوده، ومضت سننه تعالى بهلاكهم، وأكّد تعالى أنّ الإخبار عن الأمم السابقة دليل على صدقه ﷺ.

(٤٧-٥٦) فَضح سلوك كفّار مكّة المكرمة، وبيان ثواب من آمن من أهل الكتاب، وتأكيد أن أمر الهداية لله وحده.

وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

فضح تعالى ما في صدور كفَّار ومشركي مكّة المكرمة وموقفهم من الرسالة قائلًا: {وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ} وعقوبة وعذاب من قبل أن نرسلك إليهم و {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} من كفر وإشراك {فَيَقُولُوا} أي فسيقولوا {رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً} قبل أن تعاقبنا {فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} المصدقين لنزلت عليهم المصيبة {فَلَمَّا جَاءهُمُ} الرسول ﷺ بـ {الْحَقُّ} الذي {مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ} أي الرسول ﷺ القرآن جملةً واحدة {مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى} لنؤمن به، فقال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفُرُوا} أي أولم يكفر آباء بني إسرائيل {بِمَا أُوتِيَ مُوسَى} (عس) {مِن قَبْلُ} و {قَالُوا} عنه وأخيه هارون (عس) {سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} وانتصرا لبعضهما علينا {وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ} منهما {كَافِرُونَ} مكذّبون، فـ {قُلْ} وقولوا لكفّار ومشركي مكّة المكرمة {فَأْتُوا بِكِتَابٍ} غير هذا القرآن {مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا} أي أهدى من القرآن والتوراة لـ {أَتَّبِعْهُ} معكم {إِن كُنتُمْ} حقًا {صَادِقِينَ} بما تدعون، ثمّ أكّد تعالى لرسول ﷺ قائلًا: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ} ولكم، ويؤمنوا {فَاعْلَمْ}

واعلموا {أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ} ورغباتهم وما تشتهي أنفسهم، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَمَنْ أَضَلُّ} أي وليس هناك أضل {مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ} ورغبات نفسه {بِغَيْرِ هُدًى} ونورًا وإرشادًا {مِّنَ اللَّهِ} ثمّ أشار تعالى لسننه التي يمضيها فيهم وفي أمثالهم قائلًا: {إِنَّ اللَّهَ} أبدًا {لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} بكفرهم عنادًا وعصيانًا، لقوله تعالى في سورة البقرة: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}۝٧ ثمّ بيّن تعالى سبب ذلك قائلًا: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} والرسالة ببعثة رسولنا ﷺ {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} ويستجيبون فيؤمنون، ولكن كفروا وكذّبوا.

ثمّ أشار تعالى إلى جزاء من آمن من أهل الكتاب بالرسول ﷺ لعلهم يؤمنون قائلًا: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} من اليهود والنصارى {مِن قَبْلِهِ} أي من قبل بعثته ﷺ والقرآن الذي أوحي إليه {هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ} ثانيًا: {وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ} القرآن وآياته {قَالُوا آمَنَّا بِهِ} فـ {إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا} ثمّ أكدوا قائلين: {إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ} وقبل بعثته ﷺ {مُسْلِمِينَ} فـ {أُوْلَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ} لإيمانهم بالرُّسُل الذين أرسلوا إليهم وبرسول الله ﷺ و {بِمَا صَبَرُوا} على التمسك بدينهم والعهود التي أخذت عليهم {وَيَدْرَؤُونَ} أي ويمحون {بِالْحَسَنَةِ} وبإيمانهم برسول الله ﷺ {السَّيِّئَةَ} أو السيئات التي كانت عليهم من قبل، ثالثًا: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} زكاةً وصدقةً على ذوي الحاجات، رابعًا: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ} والكفر والشرك والتكذيب بالله تعالى {أَعْرَضُوا} وصدّوا {عَنْهُ} خامسًا: {وَقَالُوا} منكرين لكفرهم

وشركهم {لَنَا} أجر وثواب {أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ} جزاء وسيئات {أَعْمَالُكُمْ} سادسًا: ويقولون: {سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي} مصاحبة والخوض مع {الْجَاهِلِينَ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا لرسوله ﷺ {إِنَّكَ لا تَهْدِى} منهم {مَنْ أَحْبَبْتَ} من الناس {وَلَكِنَّ اللَّهَ} هو الذي {يَهْدِى مَن يَشَاءُ} بعلمه حقيقة ما في القلوب {وَهُوَ} تعالى أبدًا ودائمًا {أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} الصادقين.

الملخص: -

فَضح تعالى سلوك مشركي وكفّار مكّة المكرمة، وبيّن ثواب من آمن من أهل الكتاب، وأكّد أن أمر الهداية لله وحده.

(٥٧-٧٠) دحض حجج مشركي مكّة المكرمة، وبيان سننه تعالى، وحال المشركين يوم القيامة إلّا من آمن، وتأكيد أن الخلق والاختيار له وحده.

وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا

غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ
لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا
يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٧٠﴾

دحض تعالى حجج كفّار ومشركي مكّة المكرمة قائلًا: {وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى} الذي جاءك من عند الله {مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} يُعتدي علينا وتغزونا القبائل، فردّ تعالى عليهم قائلًا: {أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ} رغم كفرهم{ حَرَماً آمِناً} من كل اعتداء بدعوة إبراهيم (عس) لقوله تعالى في سورة البقرة: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ}﴿١٢٦﴾ {يُجْبَى} ويُؤتى {إِلَيْهِ} بـ {ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً} لهم {مِن لَّدُنَّا} وفضلنا وكرمنا {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} ثمّ ذكّر تعالى بسننه التي مضت في الأمم الكافرة ليعتبروا قائلًا:{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ} ورغدت وطابت {مَعِيشَتَهَا} فأهلكوا {فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ} وقراهم خاوية خاليه {لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ} أبدًا كقرى نوح وعاد وثمود {إِلاّ قَلِيلاً} من تلك القرى {وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} كقوله

تعالى في سورة الفجر: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}۝١٤ ثمّ ذكّر تعالى بسنة أخرى قائلًا: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ} أبدًا {مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا} وأصلها {رَسُولاً} بشيرًا ونذيرًا {يَتْلُو} قارئً {عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} ثمّ ذكّر تعالى بسنة أخرى قائلًا: {وَمَا كُنَّا} أبدًا {مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} كافرون جاحدون.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ} قليل أو عظيم من أموال وثروات وبنين {فَـ} ما هو إلّا {مَتَاعُ} وبهرج {الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا} ثمّ جزم تعالى قائلًا: {وَمَا عِندَ اللَّهِ} في الآخرة {خَيْرٌ} من ذلك {وَأَبْقَى} لا يفنى ولا يزول {أَفَلا تَعْقِلُونَ} وتتفكرون وتؤمنون، ثمّ فاضل تعالى بيّن أمرين قائلًا: {أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً} في الدنيا والآخرة {فَهُوَ لاقِيهِ} لا محالة كقوله تعالى في سورة يونس: { أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}۝٦٤ فهل هو {كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وزينتها {ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} في جهنم {مِنَ الْمُحْضَرِينَ} الماكثين، لقوله تعالى في سورة ابراهيم: {جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ}۝٢٩ ثمّ حذّر تعالى المشركين قائلًا: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} تعالى يوم القيامة {فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ} في الدنيا {تَزْعُمُونَ} وتفترون فـ {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} بالعذاب من الشياطين {رَبَّنَا هَؤُلاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا} وأضللنا

{أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا} فاليوم {تَبَرَّأْنَا} منهم {إِلَيْكَ} فـ {مَا كَانُوا} أبدًا {إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} ويطيعون {وَقِيلَ} للمشركين {ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ} وآلهتكم التي كنتم تدعون في الدنيا من دون الله {فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ} ولن {يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} ولا يجيبوهم {وَرَأَوُا الْعَذَابَ} محضرًا أما أعينهم ونازلٌ بهم {لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا} في الدنيا {يَهْتَدُونَ} ويؤمنون لما نزل بهم ما يحذرون.

ثمّ ذكّر تعالى بحشرهم قائلًا: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} تعالى {فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} إليكم {فَعَمِيَتْ} وغابت عنهم و {عَلَيْهِمُ الأَنبَاء} والأخبار {يَوْمَئِذٍ} وبطلت حججهم وأعذارهم {فَهُمْ} أبدًا {لا يَتَسَاءلُونَ} ثمّ استثنى تعالى قائلًا: {فَأَمَّا مَن تَابَ} عن كفره وشركه وأناب إلى الله تعالى {وَآمَنَ} برسوله ﷺ {وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى} وحتمًا {أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ} الناجين الفائزين، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} وما لا تعلمون {وَيَخْتَارُ} المؤمنين بسننه تعالى لقوله في سورة محمد: {وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ}﴿١٧﴾ فـ {مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} بكفر ولا إيمان، لعلمه تعالى حقيقة ما في الصدور و {سُبْحَانَ اللَّهِ} وتنزّه وتطهر {وَتَعَالَى عَمَّا} وعن كل ما {يُشْرِكُونَ} ويفترون {وَرَبُّكَ يَعْلَمُ} كل {مَا تُكِنُّ} وتخفي {صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَهُوَ اللَّهُ} الواحد الأحد الفرد الصمد {لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ} و {لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى} أي الدنيا {وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ} في الآخرة {وَإِلَيْهِ} يوم القيامة {تُرْجَعُونَ} أحياءً فتحاسبون وتجازون.

الملخص: -

دحض تعالى حجج مشركي مكّة المكرمة، وبيّن سننه في الناس، وأشار لحالهم يوم القيامة، واستثنى من آمن، وأكّد أن الخلق والاختيار له وحده.

(٧١-٧٨) ضرب المثل لحسن تدبيره تعالى، وتحذير المشركين من يوم القيامة، وضرب المثل بكفر وبغي قارون.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَايِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

يُذّكِر تعالى الكافرين والمشركين بالله تعالى وبرسوله ﷺ قائلًا: {قُلْ} وقولوا لهم {أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً} لا انقطاع له {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} فـ {مَنْ إِلَهٌ

غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ} ونور لكسب أرزاقكم {أَفَلا تَسْمَعُونَ} ثمّ ذكّرهم تعالى بأمرٍ آخر قائلًا: {قُلْ} وقولوا للكافرين والمشركين {أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ} دائمًا {سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} لا انقطاع له فـ {مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ} وتستريحون {فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ} وتتفكرون، ثمّ أشار تعالى للغاية من تعاقب الليل والنهار قائلًا: {وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا} وتستريحوا {فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا} وتطلبوا بسعيكم {مِن فَضْلِهِ} ورزقه الذي قدّره في الأرض لقوله تعالى في سورة فصلت: {... وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ}﴿١٠﴾ {وَلَعَلَّكُمْ} وعساكم {تَشْكُرُونَ} وتحمدون وتطيعون فتؤمنون.

ثمّ ذكّرهم بالآخرة قائلًا: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} ويسألهم {فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ} أشركتموهم بي و {كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} وتدعون وتكذبون، ثمّ ذكَّرهم وحذّرهم تعالى بشهادة الرسل يوم القيامة قائلًا: {وَنَزَعْنَا} وسألنا {مِن كُلِّ أُمَّةٍ} من الأمم {شَهِيداً} أي نبيًا أو رسولًا أو داعيًا أرسل إليهم {فَقُلْنَا} للمشركين والكافرين {هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} وأدلتكم وشركائكم يؤيدونكم ويصدقونكم بما كنتم تزعمون وتدعون {فَعَلِمُوا} عندها {أَنَّ الْحَقَّ} كلّه {لِلَّهِ} وما أخبرت به رُسَله (عس) {وَضَلَّ} وغاب {عَنْهُم} ونسوا كل {مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} في الدنيا ويزعمون.

ثمّ نبّه تعالى لعدم الاغترار بزينة وترف الحياة الدنيا بقارون مشيرًا لسننه التي مضت فيه قائلًا: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى} أي من بني إسرائيل {فَبَغَى} وطغى

وعصى وتكبر وتجبر {عَلَيْهِمْ} أي على موسى وهارون (عس) ومن آمن {وَآتَيْنَاهُ} من رزقنا وفضلنا {مِنَ الْكُنُوزِ} العظيمة {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ} أي مفاتيح خزائنه {لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ} أي تعجز عن حملها الجماعة الكثيرة {أُولِى} وأصحاب {الْقُوَّةِ} الشديدة {إِذْ} أي يوم {قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} ينصحونه ويذكِّرونه بالله {لا تَفْرَحْ} ولا تغتر بطرًا وخيلاءً فـ {إِنَّ اللَّهَ} أبدًا {لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} الطاغين المتجبرين {وَابْتَغِ} واطلب ساعيًا {فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ} نعيم وجزاء {الدَّارَ الأخِرَةَ} فأخرج الزكاة والصدقات {وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ} خير ونعيم {الدُّنْيَا وَأَحْسِن} للناس وذوي الحاجة {كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} وأغناك وجاد عليك {وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ} والكفر والبغي تفشيه وتنشره {فِى الأَرْضِ} فـ {إِنَّ اللَّهَ} أبدًا {لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} فـ {قَالَ} متكبرًا متجبرا متبجحًا مستعليا {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ} وجمعته وحصلت عليه {عَلَى عِلْمٍ} ودراية وخبرة {عِندِى} ومن فهمي وابتكاري، ناسيًا أنه ممتحن في ذلك {أَوَلَمْ يَعْلَمْ} من موسى وأخاه هارون (عس) {أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ} كقوم نوح وعاد وثمود {مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً} أموالًا وعشيرة وأصحابًا {وَلا يُسْأَلُ} تعالى {عَن ذُنُوبِهِمُ} وسابق جرمهم وكفرهم وعصيانهم {الْمُجْرِمُونَ} كقوله تعالى في سورة المطففين: {كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ}۝١٠.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لحسن تدبيره، وحذّر المشركين من يوم القيامة، وضرب المثل بكفر وبغي قارون.

(٧٩-٨٨) الحض على عدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا، وتأكيد أنّ الآخرة للمحسنين، والإشارة لوعده تعالى لرسوله ﷺ، والتحذير من المعاصي.

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلاّ الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

حضّ تعالى على عدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا بضرب المثل بقارون مُبينًا سننه تعالى فيه فقال: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ} افتخارًا {فِي} كامل {زِينَتِهِ} وبهرجته، فـ {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا} من الناس {يَا لَيْتَ لَنَا} من الثروات والنعيم {مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ} حقًا {لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} يعظونهم {وَيْلَكُمْ} وسوء تقديركم فـ {ثَوَابُ اللَّهِ} وجزائه في الدنيا والآخرة {خَيْرٌ} وأعظم من ذلك {لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً} ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَلا يُلَقَّاهَا} أي ولا يوفق ويُهدى لها {إِلاّ الصَّابِرُونَ} على دينهم وما يصيبهم في الدنيا من بلاء {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ} وزينته وأعوانه {الأَرْضَ} فبتلعتهم في باطنها {فَمَا كَانَ لَهُ} في ذلك اليوم {مِن فِئَةٍ} ولا جماعة {يَنصُرُونَهُ} أو ينقذونه ويستصرخونه {مِن دُونِ اللَّهِ} وعقوبته وعذابه {وَمَا كَانَ} هو أبدًا {مِنَ المُنتَصِرِينَ} الفائزين الناجين {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ} وغناه وسلطانه {بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ} أي وحقًا أنّ {اللَّهَ يَبْسُطُ} ويفيض ويغدق {الرِّزْقَ} والفضل والنعم {لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} وخلقه {وَيَقْدِرُ} أي ويُقتر على من يشاء بلاءً وامتحانًا {لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} ورحمنا {لَخَسَفَ بِنَا} كما خسف به{ وَيْكَأَنَّهُ} وحقا أنّه{ لا يُفْلِحُ} أبدًا ولا يفوز{ الْكَافِرُونَ} الجاحدون المستكبرون.

ثم قال تعالى مؤكّدًا: فـ {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا} ونهبها ونمنحها {لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً} ولا استكبارًا ولا طغيانًا {فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً} يشيعونه في الأرض، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَالْعَاقِبَةُ} الحسنة في الدنيا والآخرة {لِلْمُتَّقِينَ} لقوله تعالى في سورة يونس: {أَلَآ

إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴿٦٤﴾ ف {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ} في الدنيا {فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا} في الدارين {وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ} وخبيث وساقِطِ الأفعال {فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ} وعليكم أحكام وشرائع {الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ} لمكَّة التي أخرجت منها و {إِلَى مَعَادٍ} فاتحًا منتصرًا، كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، ثمّ قال تعالى: {قُل} لكفّار مكة والمشركين {رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى} من عنده {وَ} هو تعالى أعلم {مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ} واضحٍ {مُّبِينٍ} ثم ذكّر تعالى رسوله ﷺ ببعض نِعمِه عليه قائلًا: {وَمَا كُنتَ تَرْجُو} ولا تظن {أَن يُلْقَى} ويوحى {إِلَيْكَ الْكِتَابُ} والقرآن، تشريفًا وتكريمًا ورفعةً {إِلاّ رَحْمَةً} وفضلًا وجودًا وإحسانًا {مِّن رَّبِّكَ} وللناس، ثمّ حذّر تعالى قائلًا أولًا: {فَلا تَكُونَنَّ} ولا تكونوا أبدًا {ظَهِيراً} وعونًا وسندًا {لِّلْكَافِرِينَ} بمداراتهم، ولا الركون إليهم، ثانيًا: {وَلا يَصُدُّنَّكَ} ولا يثنيك {عَنْ آيَاتِ اللَّهِ} وشرائعه وأحكامه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات {بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ} وفُرضت عليك وعلى أمتك {وَادْعُ} الناس {إِلَى رَبِّكَ} وطاعته وعبادته حتى يدخل الإسلام كل بيت لما ورد في مسند الإمام أحمد عن المقداد بن الأسود (رلع) يقول: سمعت رسول الله ﷺ

يقول:" لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها"، وحتى تحتكم البشرية لحكمه تعالى وشرائعه لقوله تعالى في سورة المائدة: {وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ}﴿٤٩﴾ ثالثًا: {وَلا تَكُونَنَّ} ولا تكونوا أبدًا {مِنَ الْمُشْرِكِينَ} رابعًا: {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ} فـ {لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ} فـ {كُلُّ شَيْءٍ} في الدنيا {هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ} وعِزُّه وسُلطانه فـ {لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وتبعثون وتحاسبون.

الملخص: –

حضّ تعالى على عدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا، وأكّد أنّ الآخرة للمحسنين، وأشار تعالى لوعده لرسوله ﷺ، وحذّر من المعاصي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العنكبوت ترتيبها (٢٩) آياتها (٦٩)

(١-١٣) القسم بامتحان الناس في الدنيا وبيان غايته، والتأكيد على بعض الثوابت، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين.

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِىَ فِى اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

أقسم تعالى بـ {الٓمٓ} لما للحروف من أهمية في كتابة اللغة والعلوم وأجلها القرآن والسنة، وبقية العلوم مشيرًا لسننه تعالى في الحياة الدنيا والغاية منها قائلًا: {أَحَسِبَ} وظنّ {النَّاسُ} والبشر {أَن يُتْرَكُوا} في الدنيا دون تمحيص وامتحان و {أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} ولا يُمتحنون ولا يُمحصون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَلَقَدْ فَتَنَّا} وامتحنّا ومحصنا {الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} من الأمم، ثمّ بيّن الغاية من ذلك فقال: {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ} وليتبيّن جليًا وواضحًا {الَّذِينَ} حقًا {صَدَقُوا} بصدق إيمانهم {وَلَيَعْلَمَنَّ} تعالى وليَتميّز منهم {الْكَاذِبِينَ} ثمّ أكّد قائلًا: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ} ويفشون {السَّيِّئَاتِ} في الأرض والمكر بالإسلام والمسلمين {أَن يَسْبِقُونَا} ويخفون علينا ويعجزونا فـ {سَاء} وخاب {مَا يَحْكُمُونَ} ويظنون ويعتقدون ويرجون.

ثمّ أشار تعالى لبعض الثوابته فقال أولًا: {مَن كَانَ} من الناس {يَرْجُو} موقنًا {لِقَاء اللَّهِ} في الآخرة والبعث والحساب {فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ} حتمًا وقطعًا {لَآتٍ} لا محالة {وَهُوَ} تعالى {السَّمِيعُ} لكل خلقه {الْعَلِيمُ} بكل شيء قبل خلق السماوات والأرض، والكتابة في اللوح المحفوظ، ثانيًا: {وَمَن جَاهَدَ} نفسه بفعل الخيرات وترك المنهيات مرضاةً لله تعالى ودينه {فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ} ويعمل {لِنَفْسِهِ} ومصلحتها في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴿٩٧﴾} ثم جزم تعالى قائلًا: {إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} لا حاجة له أبدًا لأحدٍ ولا لشيء، ثمّ أشار تعالى لجزاء المؤمنين قائلًا: {وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ} ونمحو ونطهر {عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} وما خبث من أعمالهم {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} في الآخرة بـ {أَحْسَنَ} وأفضل وأجود {الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ} في الدنيا، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد.

ثمّ أشار تعالى لبعض تعاليمه قائلًا أوّلًا: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ} وعهدنا له وأمرناه {بِوَالِدَيْهِ حُسْناً} طيلة حياتهما، ثانيًا: {وَإِن جَاهَدَاكَ} وعَمِلوا على حَملِك {لِتُشْرِكَ بِى} شريكًا و {مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا} وصاحبهما في الدنيا معروفًا فـ {إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ} أحياءً ومحاسبتكم ومجازاتكم {فَأُنَبِّئُكُم} عندها {بِمَا كُنتُمْ} حقًا {تَعْمَلُونَ} وتفعلون، ثانيًا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا} بالله ربًا ورسوله ﷺ نبيًا ورسولًا {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ} حتمًا {فِى} جنّات النعيم وزمرة {الصَّالِحِينَ}.

ثمّ أشار تعالى لصفات صنف آخر من الناس قائلًا: {وَمِنَ النَّاسِ} في الدنيا {مَن يَقُولُ} دون اطمئنان {آمَنَّا بِاللَّهِ} وباليوم الآخر {فَإِذَا أُوذِىَ} وأصابه البلاء والضر امتحنًا {فِى} سبيل {اللَّهِ جَعَلَ} مهولًا ومعظمًا {فِتْنَةَ النَّاسِ} وبلائهم وأذاهم {كَ} عظيم {عَذَابِ اللَّهِ} في الآخرة {وَلَئِن جَاء نَصْرٌ} وفتحٌ وفوزٌ وغنيمةٌ {مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} في الغنيمة سواء، فاستنكر تعالى عليهم قائلًا: {أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ} {بِـ} حقيقة {مَا فِى} وتخفي {صُدُورِ الْعَالَمِينَ} ثمّ قال تعالى: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ} وليتميز ويتباين {الَّذِينَ آمَنُوا} حقًا {وَلَيَعْلَمَنَّ} ويظهر جليًا {الْمُنَافِقِينَ}.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} كذبًا وزورًا {لِلَّذِينَ آمَنُوا} لصدِّهم عن سبيل الله ودينه: {اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا} وطريقنا ومنهجنا {وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} وإثم أفعالكم يوم القيامة، فكذّبهم تعالى قائلًا: {وَمَا هُم} أبدًا {بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن} أدنى وأقل {شَيْءٍ} ولا تزر يوم القيامة وازرة وزر أخرى و {إِنَّهُمْ} حقًا وصدقًا {لَكَاذِبُونَ} مفترون، ثمّ أكّد تعالى جزائهم يوم القيامة قائلًا: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} وسيئاتهم وأوزارهم {وَأَثْقَالاً} وأوزارًا وسيئات الذين أضلوهم بغير علم {مَّعَ أَثْقَالِهِمْ} وسيئاتهم وأوزارهم {وَلَيُسْأَلُنَّ} وليحاسبن ويجزون {يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا} وبما {كَانُوا يَفْتَرُونَ} ويكذبون.

الملخص: -

أقسم تعالى بامتحان الناس في الدنيا مبينًا الغاية من ذلك، وأكّد بعض ثوابته تعالى، وبين جزاء المؤمنين والكافرين.

(١٤-٢٧) ضرب المثل لجدل قوم نوح وإبراهيم (عس) وبيان سننه تعالى فيهم، ونعمه على رُسُله.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن

قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ
النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ
تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
وَلا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

ضرب تعالى مثلًا لسننه في الأمم قائلًا: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً} (عس) {إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ} يدعوهم {أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسِينَ عَاماً} فكفروا {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ} فأهلكهم {وَهُمْ ظَالِمُونَ} بكفرهم {فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً} وعبرةً {لِّلْعَالَمِينَ} وفي هذه الآية إشارة إلى أثر النيزك الذي سقط على جزيرة يُوكاتان من المكسيك والذي لا يزال قائمًا، والذي يقدر قطره بأكبر من مائة وثمانون (١٨٠) كيلومتر، وأحدث موجة

بارتفاع ألف وخمسمائة (١٥٠٠) متر تقريبا، وأدى إلى انقراض نصف أشكال الحياة القديمة كالديناصورات على الأرض.

ثمّ قال تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ} والذي هو من ذرية من بقي مع نوح (عس) لقوله تعالى عن بني إسرائيل في سورة الإسراء: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}﴿٣﴾ {إِذْ قَالَ} أي إبراهيم (عس) {لِقَوْمِهِ} أولًا: {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ} فـ {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} ثانيًا: حذّرهم من الشرك قائلًا: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً} وأصنامًا {وَتَخْلُقُونَ} وتصنعون تماثيل {إِفْكاً} تعبدونها، وأكّد قائلًا: {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً} فيطعمونكم، ثالثًا: {فَابْتَغُوا} واطلبوا {عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ} والرزق هو كل ما ينتفع به من هواء وشراب وطعام وعِلم وغيره، رابعًا: {وَاعْبُدُوهُ} تعالى، خامسًا: {وَاشْكُرُوا لَهُ} تسخير الرزق، و {إِلَيْهِ} تعالى في الآخرة {تُرْجَعُونَ} أحياءً فتحاسبون وتجازُون، ثمّ حذّرهم قائلًا: {وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ} فأهلكهم تعالى كقوم نوح عاد وثمود.

ثمّ أشار تعالى لواجب الرسل قائلًا: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ} أما هدايتهم فلله تعالى لقوله في سورة البقرة: {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ ...}﴿٢٧٢﴾ بعلمه حقيقة ما في القلوب. ثمّ أشار تعالى لبعض آياته قائلًا أولًا: {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} كتناسُل البشر والحيوان والزروع والنبات والثمار دون انقطاع فـ {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ثانيًا: {قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

الْخَلْقَ} وقد أشار تعالى إلى بعض مراحله، كيوم كانت السماوات والأرض شيئًا واحدًا قبل فتقهما لقوله تعالى في سورة الأنبياء: {أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}﴿٣٠﴾ ثمّ كانتا دخانًا لقوله تعالى في سورة فصلت: {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ}﴿١١﴾ ثالثًا: {ثُمَّ اللَّهُ} يوم القيامة {يُنشِئُ} ويخلق {النَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَۚ} للبعث والحساب والجزاء {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ثمّ حذَّرهم الآخرة قائلًا: {يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} بكفرهم وعنادهم {وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ} بإيمانهم وطاعتهم، ولا يظلم ربك أحدًا {وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} وتُرجَعون: {وَمَا أَنتُم} أبدًا {بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاء} {وَمَا لَكُم} معشر المؤمنين {مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ} يتولى مصالحكم {وَلا نَصِيرٍ} ينصركم في الدنيا والآخرة، خامسًا: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِئَايَٰتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي} في الدارين {وَأُوْلَئِكَ} في الآخرة {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

ثمّ أشار إلى تعنت قوم إبراهيم قائلًا: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} بعد تحطيمه أصنامهم، وأقام الحجة عليهم بأنها لا تدفع عن نفسها الضر، ولا تجلب النفع ولا الرزق لأحد {فَأَنجَاهُ اللَّهُ} تعالى {مِنَ النَّارِ} فـ {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَٰتٍ} ودلائل وبراهين {لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} {وَقَالَ} أي إبراهيم (عس) لقومه مبطلًا حججهم أولًا: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً} لتعزيز الـ {مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ثانيًا: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً} ثالثًا: {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم} أبدًا

{مِّن نَّاصِرِينَ} ولا مستصرخين {فَـَٔامَنَ لَهُۥ} وصدّقه {لُوطٌ} (عس) {وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى} أمر {رَبِّىٓ إِنَّهُۥ} تعالى {هُوَ الْعَزِيزُ} الغالب في كل شأنه وأسمائه وصفاته، ومعطي كل شيءٍ خلقه وهداه، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه، ولا يقبل إلّا شرعه ودينه {الْحَكِيمُ} فيما يقضي ويمضي.

ثمّ ذكر تعالى بعض نعمه على إبراهيم (عس) قائلًا أولًا: {وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} ثانيًا: {وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ} ثالثًا: {وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا} جزاء إيمانه وتصديقه ودعوة قومه رابعًا: {وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ}.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لجدل قوم نوح وإبراهيم (عس) وبيّن تعالى سننه فيهم، ونعمه تعالى على رسله.

(٢٨-٣٨) ضرب المثل لإصرار الأمم الكافرة على الكفر، والإشارة إلى سننه تعالى فيهم.

وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ

أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

ضرب تعالى مثلًا آخر لإصرار الأمم الكافرة على الكفر فقال: {وَلُوطاً} (عس) {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} محذِّرًا {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ} {أَإِنَّكُمْ} أولًا: {لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ} ثانيًا: {وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} عن المسافر، ثالثًا: {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ} وحضرتكم {الْمُنكَرَ} وأنتم تبصرون، وورد في مسند الإمام أحمد وسنن الإمام الترمذي عن أم المؤمنين أم هانئ، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى:" وتأتون في ناديكم المنكر " قال:" كانوا يخذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فذاك المنكر الذي كانوا يأتون". والخذف: هو الرميُ بالحصى بالإصبَع. {فَمَا كَانَ جَوَابَ} وسوء ردِّ {قَوْمِهِ إِلاّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ} وأنزله علينا {إِن كُنتَ} حقًا {مِنَ الصَّادِقِينَ} فدعا ربه و {قَالَ رَبِّ انصُرْنِي} ومن معي من المؤمنين {عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} في الأرض.

ثمّ قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ} (عس) {بِالْبُشْرَى} بإسحاق (عس) {قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} أي قوم لوط {إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ} كافرين عاصين فـ {قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً} (عس) فـ {قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا} وأكّدوا قائلين: {لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ} من المؤمنين {إِلاّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ} في قضاء الله تعالى وقدره {مِنَ} المهلكين {الْغَابِرِينَ} {وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً} (عس) {سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً} وغمًا وحزنًا خوفًا عليهم من قومه {وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ} أي من آمن من قومك {إِلاّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} المهلكين، ثمّ قالوا مؤكدين {إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} الظالم أهلها {رِجْزاً} وعذابًا {مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا} أي بسبب ما {كَانُوا يَفْسُقُونَ} ويعصون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً} جليةً واضحة للمعتبرين (في البحر الميت) {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ويتدبرون ويتعظون.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا آخر فقال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ} أرسلنا إليهم {أَخَاهُمْ} للغتهم {شُعَيْباً} (عس) {فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ} وحده وأطيعوه فيما أمرتم به ونهيتم عنه {وَارْجُوا} نعيم {الْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلا تَعْثَوْا} مشيعين المنكر {فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} {فَكَذَّبُوهُ} عنادًا وعصيانًا {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} والصيحة {فَأَصْبَحُوا} هلكًا {فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} خامدين {وَعَاداً} قوم هود (عس) {وَثَمُودَ} قوم صالح (عس) ثمّ حذّر تعالى قائلًا: {وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم} معشر الناس والمؤمنين {مِّن مَّسَاكِنِهِمْ} وما نزل بهم من عقوبة {وَزَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَانُ} سوء {أَعْمَالَهُمْ} وكفرهم وعصيانهم من قبل {فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} الحق والصراط المستقيم {وَكَانُوا} قبل ذلك مؤمنين {مُسْتَبْصِرِينَ} عارفين.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لإصرار الأقوام الكافرة على الكفر، وبيّن تعالى سننه فيهم.

(٣٩-٤٩) ضرب المثل لكفر الكافرين وعقوباتهم، والأمر بإقام الصلاة ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، والتدليل على صدق الرسول ﷺ.

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا

يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

ضرب تعالى مثلًا آخر لإصرار الكافرين على كفرهم قائلًا: {وَ} كذلك {قَارُونَ} الذي قال إنما أوتيته على علم عندي {وَفِرْعَوْنَ وَ} وزيره {هَامَانَ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ} والمعجزات والبراهين {فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ} وأعرضوا وجحدوا {وَمَا كَانُوا} في الكفر {سَابِقِينَ} ولا أوّل الكافرين، ثمّ أكّد تعالى عقوباتهم فقال: {فَكُلاً} من تلك الأمم الكافرة {أَخَذْنَا} وأهلكنا {بِذَنبِهِ} وبسبب كفره {فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً} من حجارةٍ كقوم لوط {وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} والصعقة كقوم عاد وثمود {وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ} كقارون {وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا} كقوم نوح وفرعون {وَمَا كَانَ اللَّهُ} ولم يكن أبدًا {لِيَظْلِمَهُمْ} بعقوبتهم {وَلَـكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بعنادهم وعصيانهم.

ثمّ أكّد تعالى ضعف الجاحدين فقال: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء} ونصراء من جميع الأمم {كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً} يحميها {وَإِنَّ أَوْهَنَ} وأضعف {الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ} فنسيجها ضعيف في ذاته، وأنثى العنكبوت تأكل بعض صغارها وتقتل ذكورها، فلا تغتروا أبدا بما يملك الكفّار من قوى وتمكين في الأرض، فتحسبُهم جميعًا وقلوبهم شتّا {لَوْ كَانُوا} حقًا {يَعْلَمُونَ} عظيم ضعفهم وعجزهم، ثمّ أكّد

تعالى فقال: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ} وما يعبدون {مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ} صغر أو كبر {وَهُوَ الْعَزِيزُ} الغالب في كل شأنه وأسمائه وصفاته، ولا يقبل إلّا دينه وشرعه {الْحَكِيمُ} فيما يقضي ويمضي من شرائع وسنن {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا} ونبينها {لِلنَّاسِ} لعلهم يتوبون ويؤمنون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَمَا يَعْقِلُهَا} ولا يفهمها ولا يتدبر العِبر منها {إِلاّ الْعَالِمُونَ} العارفون.

ثمّ ضرب تعالى المثل لعظيم خلقه وابداعه وتدبيره قائلًا: {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ} الواضح الجلي المبين، بعد أن كانتا شيئا واحدًا ففتقهما، لقوله تعالى في سورة الأنبياء: {أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ}٣٠ ثمّ كانتا دخانًا، لقوله تعالى في سورة فصلت: {ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ}١١ ثمّ جزم تعالى قائلًا: {إِنَّ فِي ذَلِكَ} الخلق {لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} على عظيم خلقه وابداعه وتدبيره.

ثمّ أمر تعالى بالتمسك بهديه فقال أولًا: {اتْلُ} واتلوا معشر المؤمنين {مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} وإليكم {مِنَ الْكِتَابِ} والقرآن والسنن التي مضت فيمن كفر، ثانيًا: {وَأَقِمِ} وأقيموا {الصَّلاةَ} المفروضة وما يستطاع من تطوع، ثمّ أكّد تعالى فضلِها قائلًا: {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} وأعظم وأجل، لما فيها من تسبيح وتهليل وتمجيد وعبر {وَاللَّهُ يَعْلَمُ} كل {مَا تَصْنَعُونَ} وتفعلون، ثانيًا: {وَلا تُجَادِلُوا} معشر

المؤمنين {أَهْلَ الْكِتَابِ} من يهود ونصارى، ولا تحاوروهم {إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ثمّ استثنى تعالى قائلًا {إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} فقاتلوكم وأعلنوا العداء لكم {وَقُولُوا} للمسالمين منهم، أولًا: {آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ} من كتاب، ثانيًا: {وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ} لا شريك له، ثالثًا: {وَنَحْنُ لَهُ} مؤمنون مصدقون {مُسْلِمُونَ} ومستسلمون لدينه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، ولأحكامه وشرائعه، ثمّ قال تعالى: {وَكَذَلِكَ} أي ولذلك {أَنزَلْنَا إِلَيْكَ} وإليكم {الْكِتَابَ} والقرآن لمجادلتهم بالتي هي أحسن ودعوتهم للإسلام، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} من قبلكم {يُؤْمِنُونَ بِهِ} {وَمِنْ هَؤُلاء} الذين في زمنكم {مَن يُؤْمِنُ بِهِ} { وَمَا يَجْحَدُ} ولا يكفر {بِئَايَتِنَآ إِلاَّ الْكَافِرُونَ} الجاحدون المستكبرون، ثمّ دلل تعالى على صدق بعثة رسوله ﷺ فقال: {وَمَا كُنتَ} أبدًا قبل الوحي {تَتْلُو} ولا تقرأُ شيئًا {مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ} وتكتبه {بِيَمِينِكَ} ولو كان كذلك {إِذاً لاَّرْتَابَ} وشك وجحد وساء ظن {الْمُبْطِلُونَ} الجاحدون المستكبرون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا عن كتابه العزيز {بَلْ هُوَ آيَاتٌ} ومعجزات ودلائل وبراهين وقصص الأولين {بَيِّنَاتٌ} واضحات {فِي صُدُورِ} وقلوب وأفهام {الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} منكم {وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَتِنَآ} وينكرها {إِلاَّ الظَّالِمُونَ} المكابرون.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لكفر الكافرين وعقوباتهم، وأمر بإقام الصلاة ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، ودلل تعالى على صدق الرسول ﷺ.

(٥٠-٦٠) دحض حجج الكافرين وتوعدهم الآخرة، وحث المؤمنين على الصبر وبيان جزائهم.

وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

دحض تعالى حجج ومزاعم الكافرين والمشركين فقال أولًا: {وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ} ومعجزات ودلائل وبراهين {مِّن رَّبِّهِ} لنؤمن {قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ} والمعجزات والبراهين من {عِندَ اللَّهِ} يرسلها متى شاء {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ استنكر تعالى عليهم فقال: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ} كمعجزة ودليل وبرهان {أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ} أي القرآن

العزيز {يُتْلَى عَلَيْهِمْ} ليل نهار، والذي تحداهم تعالى أن يأتوا بسورة من مثله مستعينين بمن شاءوا لقوله تعالى في سورة هود: {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿٣٨﴾ ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّ فِي ذَلِكَ} الكتاب العزيز {لَرَحْمَةً} لهم {وَذِكْرَى} بالسنن التي مضت فيمن قبلهم في الأمم، وخبر يوم القيامة والبعث والحساب والجزاء {لِقَوْمٍ} حقًا {يُؤْمِنُونَ} ويصدقون، و {قُلْ} لهم {كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً} على صدق بعثتي ورسالتي، فهو تعالى {يَعْلَمُ} كل {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وما فيهما وما بينهما، ثمّ أكّد تعالى فقال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴿٥٦﴾.

ثمّ قال تعالى ثانيًا: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ} في الدنيا {بِالْعَذَابِ} تحديًا وتكذيبًا واستكبارًا {وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى} لعذابهم و {لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ} ونزل بهم، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً} وفجأة {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} لقوله تعالى في سورة الرعد: {... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴿٣١﴾ ثمّ استنكر تعالى فقال: {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} في الدنيا {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} يوم القيامة، فـ {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ} ويحيط بهم {الْعَذَابُ} في الآخرة {مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا} جزاء {مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وتكفرون وتستهزؤون وتستعجلون.

ثمّ أكّد تعالى للمؤمنين قائلًا: {يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ آمَنُوا} وصدقوا {إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ} فسيحوا فيها {فَإِيَّاىَ} وحدي {فَاعْبُدُونِ} وأطيعون فيما أُمرتم به ونُهيتم عنه، ثمّ حذّر تعالى جازمًا فقال: {كُلُّ نَفْسٍ} من إنس وجن وحيوان ونبات {ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} لا محالة {ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} أحياءً وتُحاسبَون وتُجازُون {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم} ولنُنزِلنَّهم {مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً} كلًا بدرجة عمله {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا} وخلالها {الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا ولـ {نِعْمَ} وحُسن {أَجْرُ الْعَامِلِينَ} وهم أولًا: {الَّذِينَ صَبَرُوا} على تكاليف وواجبات دينهم أمرًا ونهيًا، ثانيًا: {وَعَلَى رَبِّهِمْ} دائمًا {يَتَوَكَّلُونَ} ويعتمدون {وَ} رزقهم فيها {كَأَيِّن مِن دَابَّةٍ} في الأرض {لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} ثمّ قال تعالى: {اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} دون انقطاع من هواء وماء وثمار وعلم وغير ذلك {وَهُوَ} تعالى {السَّمِيعُ} لكل خلقه {الْعَلِيمُ} بهم وما تخفيه الصدور.

الملخص: -

دحض تعالى حجج الكافرين وتوعدهم الآخرة، وحث المؤمنين على الصبر وبيّن جزائهم.

(٦١-٦٩) الإشارة إلى تناقض أفهام الكافرين، والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، والرد على زعم الكفرة وتوعدهم، وبيان جزاء المؤمنين.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

أشار تعالى إلى تناقض أفهام الكافرين فقال أولًا: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ} وفطر وأنشأ {السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} وما فيهما وما بينهما {وَسَخَّرَ} لمصلحتكم {الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} دائبين {لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} ثمّ استنكر فقال: { فَأَنَّى} وكيف {يُؤْفَكُونَ} ويصرفون عن الحق، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {اللَّهُ يَبْسُطُ} ويُغدق ويُجزِل {الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} أي ويقتره ويضيقه على من يشاء، ابتلاءً وتمحيصًا لقوله تعالى في سورة الأنبياء: {... وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}﴿٣٥﴾ ثمّ جزم تعالى فقال: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية، ثانيًا: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} عذبًا فراتًا {فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ} بالزروع {مِن بَعْدِ مَوْتِهَا} وذهاب خيرها {لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} فـ {قُلِ} لهم {الْحَمْدُ لِلَّهِ} ثمّ أكّد تعالى فقال: {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ} ولا يفهمون ولا يتدبرون، ثمّ

أشار تعالى لقصر الحياة الدنيا فقال: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ} وإلى زوال {وَإِنَّ الدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} ودار الخلود، وأطيب العيش وأحسنه {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ويؤمنون، ثالثًا: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ} وجائهم الموج من كل مكان، وتيقنوا الهلاك {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} من أعماق قلوبهم {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ} وأوصلهم {إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} ويكفرون ويعرضون، فتوعدهم تعالى قائلًا: {لِيَكْفُرُوا} {بِـ} كل {مَا آتَيْنَاهُمْ} من مال وبنين ونعيم {وَلِيَتَمَتَّعُوا} به في الدنيا {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} الحقّ والحقيقة في الآخرة، ثمّ استنكر تعالى على كفرة قريش قائلًا: {أَوَلَمْ يَرَوْا} تدبيرنا منذ خَلق السماوات والأرض {أَنَّا جَعَلْنَا} لهم {حَرَماً آمِناً} لا يغار ولا يعتدى عليهم {وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} ويعتدى عليهم {أَفَبِالْبَاطِلِ} بعد ذلك والأصنام والأوثان والشركاء {يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ} وأمانه {يَكْفُرُونَ} وينكرون.

ثمّ أشار تعالى لأعظم الظلم فقال: {وَمَنْ أَظْلَمُ} أي ولا أظلم {مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً} قولًا أو شركًا أو ولدًا {أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ} أي برسوله ﷺ {لَمَّا جَاءهُ} بشيرًا ونذيرًا {أَ} و {لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى} ومنزلًا ومستقرًا {لِّلْكَافِرِينَ} الجاحدين المعرضين المستكبرين {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا} بتبليغ الدين، وإقامته في الأرض {لَنَهْدِيَنَّهُمْ} في الدنيا {سُبُلَنَا} وهُدنا، ثمّ جزم تعالى قائلًا: {وَإِنَّ اللَّهَ} دائمًا وأبدًا{ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} مؤيدًا وناصرًا وهاديًا لقوله تعالى في سورة يونس: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ

هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴿٦٤﴾ ولقوله تعالى في سورة محمد: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴿٢﴾.

الملخص: -

أشار تعالى إلى تناقض أفهام الكافرين، وزهّد في الحياة الدنيا ورغّب في الآخرة، وردّ على زعم الكفرة وتوعدهم، وبيّن جزاء المؤمنين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الروم ترتيبها (٣٠) آياتها (٦٠)

(١-١٦) يقسم تعالى بانتصار الروم بعد الهزيمة، والإشارة لبعض آياته وسننه، والتحذير من يوم القيامة، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين.

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدۡنَى الأَرۡضِ وَهُم مِّن بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِن بَعۡدُ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ الۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الۡعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ اللَّهِ لا يُخۡلِفُ اللَّهُ وَعۡدَهُ وَلَكِنَّ أَكۡثَرَ النَّاسِ لا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الۡحَيَاةِ الدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمۡ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا إِلاَّ بِالۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمۡ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُوا فِي الأَرۡضِ فَيَنظُرُوا كَيۡفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ كَانُوا أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرۡضَ وَعَمَرُوهَا أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِالۡبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسۡتَهۡزِئُون ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبۡدَأُ الۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبۡلِسُ الۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمۡ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمۡ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي الۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾

أقسم تعالى بثلاثة حروف من اللغة العربية فقال: {الٓمٓ} لما للحروف من أهمية لكتابة اللغة والعلوم وأجلها القرآن العزيز والسنّة المطهرة، وجواب القسم الأول: {غُلِبَتِ الرُّومُ} من الفرس، ثم ذكر تعالى موقع المعركة فقال: {فِي أَدْنَى الأَرْضِ} وتلك حقيقة علمية، فمنطقة البحر الميت التي كانت فيها المعركة تنزل عن سطح البحر بأربعمائة وثلاثين (-٤٣٠) متر تقريبًا، كما ورد في محرك البحث جوجل، وجواب القسم الثاني: {وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} أي الفرس، ثمّ بيّن تعالى زمن ذلك النصر فقال: {فِي بِضْعِ سِنِينَ} أي من ثلاث إلى تسع سنين، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ} ذلك كلّه {وَ} كذلك {مِن بَعْدُ} ولا يكون شيئًا في السماوات والأرض إلّا بإذنه ومشيئته {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ} ثمّ جزم تعالى فقال: {يَنصُرُ مَن يَشَاءُ} بعظيم عدله وحكمته وتدبيره {وَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي ليس كمثله شيء، الغالب في كل شأنه، وفي أسمائه وصفاته {الرَّحِيمُ} لكل خلقه، يرزق مؤمنهم وكافرهم بغير حساب، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَعْدَ اللَّهِ} للروم {لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} أبدًا {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} ولا يفهمون ولا يؤمنون. وسبب نزول الآية كما ورد مختصرًا في تفسير مقاتل بن سليمان، أن كفار مكّة فرحوا بانتصار فارس الكافرة على الروم المؤمنة، وظنوا أنهم سينتصرون على المسلمين في بدر، فهُزِموا فيها، ثم هَزم الروم فارس أثناء عزوة الحديبية، وفرح المؤمنون.

ثمّ استثنى تعالى جازمًا فقال: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ومكاسبها ومجرياتها {وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ} وجزائها والخلود فيها {هُمْ غَافِلُونَ} معرضون، ثمّ استنكر تعالى كُفرهُم

وقِلَّةَ فَهمِهم فقال أولًا: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ} من إبداع وإتقان لأسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم وحواسِّهم وبواطن جوارحهم، كقوله تعالى في سورة الذاريات: {وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ}﴿٢١﴾ ثمّ أكّد تعالى قائلًا ثانيًا: {مَا خَلَقَ اللَّهُ} في {السَّمَاوَاتِ} من أجرام وأفلاك وبروج، ثالثًا: {وَالأَرْضَ} وما فيها من جبال وأنهار وثمار رابعًا: {وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ} الظاهر الواضح المبين، ثمّ أكّد تعالى فقال: {وَأَجَلٍ مُّسَمًّى} أي وأنّ لهم ولقيام الساعة والبعث والحساب والجزاء أجل مسمى {وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ} بتلك الحقائق و {بِلِقَاء رَبِّهِمْ} يوم القيامة {لَكَافِرُونَ} جاحدون.

ثمّ استنكر تعالى كفر مشركي مكّة فقال: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ} سوء {عَاقِبَةُ} وجزاء الأمم الكافرة {الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم {كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} مشركي مكّة {وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} والمعجزات والأدلة والبراهين {فَمَا كَانَ اللَّهُ} أبدًا {لِيَظْلِمَهُمْ} بهلاكهم {وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بشركهم وكفرهم وجحودهم واستكبارهم {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا} في الدنيا وكفروا وأشركوا {السُّوأَى} في الآخرة، ثمّ بيّن تعالى سبب ذلك فقال: {أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ} أي بسبب أنهم كذّبوا بآيات الله ومعجزاته وأدلته وبراهينه {وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون} فتكون عقوبتهم كقوله تعالى في سورة الأنعام: {فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ}﴿٥﴾.

ثم ضرب تعالى مثلًا جليًا واضحًا فقال: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} بتناسل الناس والحيوان والنبات والثمار، ثمّ حذّر تعالى فقال: {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} للحساب والجزاء {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ} ويعبسُ ويخسَرُ {الْمُجْرِمُونَ} والمشركون والكافرون {وَلَمْ يَكُن لَّهُم} عندها {مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء} يشفعون لهم عند الله تعالى {وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} مكذِّبين لقوله تعالى في سورة يونس: {... وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ}﴿٢٨﴾ ثمّ حذّر تعالى قائلًا: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} مؤمنٌ وكافر {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} يَبتَهِجون ويَتَنَعَّمون {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} ومعجزاتنا وأدلتنا وبراهيننا {وَ} بـ {لِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ} أبدًا {مُحْضَرُونَ} مقيمون.

الملخص: -

أقسم تعالى بنصر الروم بعد الهزيمة، وأشار لبعض آياته وسننه، وحذّر بيوم القيامة، وأشار إلى جزاء المؤمنين والكافرين.

(١٧-٢٧) للنجاة في الآخرة أمر تعالى المؤمنين بالتسبيح والصلاة، ولتعزيز إيمانهم أشار إلى بعض نِعمه وآياته.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

بعد أن حذّر تعالى من الآخرة في قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}﴿١٦﴾ بيّن تعالى سُبُل النجاة في الدارين فقال: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ} أي فأديموا تسبيح الله تعالى والصلاة {حِينَ تُمْسُونَ} أي عند صلاة المغرب والعشاء {وَحِينَ تُصْبِحُونَ} أي عند صلاة الصبح وحين تستيقظون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَلَهُ} تعالى {الْحَمْدُ} أي التسبيح والتحميد والتمجيد والصلاة من كل خلقه {فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وما فيهما وما بينهما {وَعَشِيّاً} أي ووقت العشاء وقيام الليل {وَحِينَ تُظْهِرُونَ} أي عند صلاة الظهر، كقوله تعالى في سورة الإسراء: { تُسَبِّحُ لَهُ

ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴿٤٤﴾.

ثمّ عدد تعالى بعض نعمِه وآياته على الناس لتعزيز إيمانهم فقال أولًا: {يُخْرِجُ الْحَيَّ} أي المؤمن {مِنَ الْمَيِّتِ} أي من الكافر، والنبات الحي من الأرض الميتة، كما {وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ} أي الكافر {مِنَ الْحَيِّ} أي من المؤمن بعدله وعلمه تعالى بحقيقة ما في الصدور، كما ويخرج تعالى الخلايا الميتة من الحي كالإنسان والحيوان والنبات لينموا ويتكاثروا، ثانيًا: {وَيُحْيِي} تعالى {الأَرْضَ} بالماء {بَعْدَ مَوْتِهَا} وجدبها وذهاب زُرُوعها وثِمرها، ثمّ ذكّر تعالى بالبعث قائلًا: {وَكَذَلِكَ} أنتم يوم القيامة {تُخْرَجُونَ} للحساب والجزاء فاستعدوا لذلك اليوم، ثالثًا: {وَمِنْ آيَاتِهِ} وأدلته وبراهينه على عظيم خلقه وابداعه وتدبيره {أَنْ خَلَقَكُم} معشر الناس {مِّن تُرَابٍ} كما خلق آدم (ع‌س) {ثُمَّ إِذَا أَنتُم} أصبحتم من بعده {بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ} في الأرض.

رابعًا: {وَمِنْ آيَاتِهِ} وعظيم خلقه وابداعه وتدبيره {أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ} أي من جنسكم {أَزْوَاجاً} ثم بيّن الغاية من ذلك فقال: {لِّتَسْكُنُوا} وتستريحوا {إِلَيْهَا} لقضاء أوطاركم، خامسًا: {وَجَعَلَ بَيْنَكُم} كأزواج وذرية {مَّوَدَّةً} ومحبة وأُلفة {وَرَحْمَةً} وعطفًا وحنانًا، ثمّ جزم تعالى فقال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} ودلائل وبراهين على عظيم خلقه وابداعه وتدبيره {لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ويؤمنون ويشكرون.

سادسًا: {وَمِنْ آيَاتِهِ} وعظيم خلقه وابداعه وتدبيره {خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} بعد أن كانتا شيئًا واحدًا رتقًا ففتقهما، ثم كانتا دخانًا، سابعًا: {وَ} لعظيم خلقه وابداعه وتدبيره {اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ} فكم لغةٍ يتكلمها النّاس {وَ} كذلك كثرةُ {أَلْوَانِكُمْ} فـ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} كلّه {لَآيَاتٍ} وأدلة وبراهين على عظيم خلقه وابداعه وتدبيره {لِّلْعَالِمِينَ} المُستبصرين، سابعًا: {وَمِنْ آيَاتِهِ} وعظيم خلقه وابداعه وتدبيره {مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ} ورزقه، فـ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} كلّه {لَآيَاتٍ} ودلائل وبراهين على عظيم خلقه وابداعه وتدبيره {لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} ويفهمون ويؤمنون فيسبحون ويصلون.

ثامنًا: {وَمِنْ آيَاتِهِ} ودلائله وبراهينه {يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً} من الصواعق {وَطَمَعاً} في نُزُول المطر {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} وذهاب خيراتها {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} ودلائل وبراهين على عظيم خلقه وابداعه وتدبيره {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ويتفكرون، ثمّ نبَّه تعالى وحذّر من يوم القيامة فقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ} كقوله تعالى إذا السماء انفطرت، وإذا الشمس كوّرت {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً} لبعثكم وحشركم {مِّنَ الأَرْضِ} المخصصة ليوم القيامة {إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ} وتبعثون، ثمّ أكّد تعالى فقال: {وَلَهُ} تعالى ولِأمرِهِ يستجيب ويُذعن كل {مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ} مُستسلمون خاضعون، فكونوا معشر المؤمنون كذلك، تاسعًا: {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ} من إنس وجن ودواب وزُروع وثِمار {ثُمَّ يُعِيدُهُ} مرات ومرات بتكاثره رزقًا لكم {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} من بدأ الخلق أوّل مرة {وَلَهُ الْمَثَلُ} المُعجز المُذهِل الباهر {الأَعْلَى} {فِي} خلق

{السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ} تعالى {الْعَزِيزُ} الذي ليس كمثله شيء، والغالب في كل شأنه وأسمائه وصفاته {الْحَكِيمُ} فيما يَقضي ويُمضي من سنن في خلقه.

الملخص: -

للنجاة في الآخرة أمر تعالى المؤمنين بالتسبيح والصلاة، ولتعزيز إيمانهم عدد تعالى بعض آياته وبراهينه.

(٢٨-٣٧) تأكيد وحدانيته تعالى، واتباع الظالمين أهوائهم، والأمر بالالتزام بدينه وعدم التفرق، وضرب المثل لتقلب إيمان الناس.

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا

بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

كان كفار قريش يقولون في إحرامهم: "لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تَملِكُه وما مَلك" كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا، فأكّد تعالى وحدانيَّتَه، وبطلان مزاعمهم فقال: {ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً} يا كفّار قريش {مِنْ أَنفُسِكُمْ} وما تعارفتم عليه فـ: {هَل لَّكُم} أنتم {مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم} وعبيدكم {مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ} من أموال وثروات {فَأَنتُمْ} أصبحتم معهم {فِيهِ سَوَاء} أي في الحقوق والميراث، وحيث أنكم {تَخَافُونَهُمْ} ولا تحبون مشاركتهم في أرزاقكم {كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ} أي كما تخافون أنفسكم، فكيف ترضون الشريك لله تعالى ولا ترضونه لأنفسكم؟ فـ {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ} ونبيّن {ٱلْآيَاتِ} والأدلة والبراهين على بطلان مزاعمكم {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ويفهمون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {بَلِ} الحقيقة أن {اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} بشركهم {أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ} ولا دليل ولا برهان {فَمَن يَهْدِى} بعد ذلك {مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} بسبب إصراره على شركه، ثمّ جزم تعالى قائلًا: {وَمَا لَهُم} أبدًا في الآخرة {مِّن نَّاصِرِينَ} ولا مستصرخين ولا منقذين.

ثمّ أمر تعالى المؤمنين بالصدِّ عن أهواء المشركين قائلًا: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} وأقيموا وجوهكم { لِلدِّينِ} الذي أنزله تعالى عليكم {حَنِيفاً} أي مائلً عن كل ما عداه، فدينكم هو {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ} وخلق { النَّاسَ عَلَيْهَا} من التوحيد، وهم مُفتَقِرين لخالقهم {لا تَبْدِيلَ} أبدًا {لِخَلْقِ اللَّهِ} فـ {ذَلِكَ} هو {الدِّينُ الْقَيِّمُ} المستقيم لإصلاح الدنيا والآخرة

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} ثمّ أرشد تعالى المؤمنين لما يحب أن يكونوا عليه فقال أولًا: {مُنِيبِينَ} أي كونوا خاضعين {إِلَيْهِ} تعالى، ثانيًا: {وَاتَّقُوهُ} في كل ما أمرتم به ونُهيتم عنه، ثالثًا: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} المفروضة عليكم وما يستطاع من نوافل، رابعًا: {وَلا تَكُونُوا} أبدًا {مِنَ الْمُشْرِكِينَ} خامسًا: ولا تكونوا {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} وفرقًا {كُلُّ حِزْبٍ} وفرقةٍ وطائفةٍ {بِمَا لَدَيْهِمْ} من فهمٍ واجتهادٍ {فَرِحُونَ} وذلك لما في التفرق من ذهاب قوتكم لقوله تعالى في سورة الأنفال: {وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}﴿٤٦﴾ وقد دلّكم تعالى لما يجب اتباعه إذا اختلفتم في قوله في سورة النساء: {... فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}﴿٥٩﴾ أي فلتزموا بما شرع لكم في كتابه العزيز، وبما هداكم رسولكم ﷺ، ولربما يكون الصواب متعدد، فلا تختلفوا.

ثم أشار تعالى لتقلب وتذبذب إيمان الناس قائلًا أولًا: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم} من أعماق قلوبهم {مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} تعالى متضرعين مخلصين {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً} بكشف ضُرهم {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم} مرة أخرى {بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} فتوعدهم تعالى قائلًا: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ} وأنزلنا عليهم {فَتَمَتَّعُوا} في الدنيا {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} سوء عقوبَتِكم في الآخرة، ثمّ أبطل تعالى حجتهم فقال: {أَمْ} أنّا {أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً} وآيةً ودليلًا وبرهانًا على صحّة شركهم {فَهُوَ يَتَكَلَّمُ} ويأمرهم {بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} ويفترون.

ثم ضرب تعالى مثلًا آخر لتذبذب الإيمان فقال: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً} منّا {فَرِحُوا} وسُرُّوا واطمئنوا {بِهَا} {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} وعقوبةٌ {بِمَا قَدَّمَتْ} وعملت {أَيْدِيهِمْ} أي بسبب ما هم عليه من شرك ومعاصي {إِذَا هُمْ} بائسين {يَقْنَطُونَ} ويتذمرون.

ثمّ قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا} أي أولم يعلموا {أَنَّ اللَّهَ} هو الذي {يَبْسُطُ} ويفيض ويغدق {الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} أي ويقتر ويضيق على من يشاء اختبارًا وتمحيصًا، ف {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} ودلائل وبراهين على تمام ملكه وتمحيصه وتدبيره {لِّقَوْمٍ} حقًا +{يُؤْمِنُونَ} ويطيعون ويلتزمون.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لوحدانيته، وأكد أن الظالمين يتبعون أهوائهم، وأمر بالالتزام بدينه وعدم التفرق، وضرب المثل لتقلب وتذبذب إيمان الناس.

(٣٨-٤٧) الإشارة لبعض سبل النجاة في الدارين، ولعجز الشركاء، وأسباب ظهور الفساد في الأرزاق في البر والبحر، وبعض آياته تعالى وسننه.

فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ
الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ
مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنفُسِهِمْ
يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ
فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

بعد أن بيّن تعالى أنه يبسط الرزق ويقتره على من يشاء، أشار تعالى لبعض أسباب بَسطِ الرزق قائلًا أولًا: {فَـَٔاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ} من الصلة والبر، ثانيًا: {وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} من زكاة وصدقة فـ {ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} ورضاه وإحسانه {وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ ثالثًا: {وَمَآ ءَاتَيْتُم} واقرضتم {مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟} ويزداد ويتضاعف {فِىٓ أَمْوَٰلِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟} ولا يضاعف {عِندَ اللَّهِ} رابعًا: {وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ} للمستحقين الثمانية في قوله تعالى في سورة التوبة: {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ والغاية من فرض الزكاة تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الناس، وأن يأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، خامسًا: إصلاح النية في كل شيء، حيث قال تعالى: {تُرِيدُونَ} بها{ وَجْهَ اللَّهِ} واتباع دينه وهديه ومرضاته {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} في الأجور في الدارين.

ثمّ أشار تعالى لعجز ما يعبد من دونه قائلًا أولًا: {اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ} وآلهتكم لا تخلق شيئًا، ثانيًا: {ثُمَّ رَزَقَكُمْ} وآلهتكم لا ترزقكم شيئًا، ثالثًا: {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} وآلهتكم عاجزة عن ذلك، رابعًا: {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} مرة أخرى ليوم القيامة للحساب والجزاء، ثمّ تحداهم تعالى فقال: ف {هَلْ مِن شُرَكَائِكُم} الذين تعبدون من دون الله {مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَىْءٍ} ف {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى} وتقدس وتنزه وترفع وتكبر {عَمَّا يُشْرِكُونَ} ويفترون ويكذبون.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {ظَهَرَ الْفَسَادُ} وأصبح جليًا واضحًا في الأرزاق {فِى الْبَرِّ} كقلة الأمطار وكثرة الأمراض، ونزول الصواعق والأعاصير والزلازل والبراكين وحوادث الطرق وغيرها {وَالْبَحْرِ} ثمّ بيّن تعالى سبب ظهور الفساد فقال: {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ} أي من كفرٍ وإشراكٍ وذنوبٍ ومعاصيٍ، ثم بين تعالى الغاية من ذلك فقال: {لِيُذِيقَهُم} في الدنيا عقوبة {بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا} من تلك المعاصي، ثمّ بيّن تعالى الغاية من ذلك فقال: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ويتبون وينيبون ويستغفرون، ثمّ ضرب تعالى المثل لعقوبات السابقين من الأمم فقال: {قُلْ} وقولوا للمشركين والكافرين والمستكبرين {سِيرُوا

فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء {الَّذِينَ} كفروا من الأمم {مِن قَبْلُ} كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، ثمّ أكّد تعالى فسادهم قائلًا: {كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ}.

ثمّ أشار تعالى لما يذهب فساد الأرزاق فقال: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} وأوامره ونهيه عامّة، وكالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصّة، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن حذيفة بن اليمان (رلع) عن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه، فلا يستجيب لكم"، {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ} في الآخرة {لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} ويتفرقون مؤمنٌ وكافر، فـ {مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ} وزر وعذاب {كُفْرُهُ} وجحوده {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً} في الدنيا {فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} في الدارين لقوله تعالى في سورة يونس: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾﴿٦٤﴾ ثمّ بيّن تعالى الغاية من يوم القيامة فقال: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ} وسخائه وجوده وكرمه {إِنَّهُ} أبدًا {لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} فلهم المعيشة الصعبة في الدنيا والعذاب في الآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾﴿١٢٤﴾.

ثمّ أشار تعالى لبعض آيات رحمته قائلًا: {وَمِنْ آيَاتِهِ} وأدلته وبراهينه {أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ} لمصالحكم فقال أولًا: {مُبَشِّرَاتٍ} بالفرح والسرور، ثانيًا: {وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ}

بالمطر، ثالثًا: {وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ} والسفن في البحر {بِأَمْرِهِ} وابداعه وتدبيره، رابعًا: {وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ} ورزقه {وَلَعَلَّكُمْ} بعد كل ذلك {تَشْكُرُونَ} وقال تعالى لعلكم تشكرون لأنّ من الناس كافرٌ ومشركٌ ومنافقٌ، ثمّ حذّر تعالى فقال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً} وأنبياء {إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ} والدلائل والمعجزات والبراهين {فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} وعصوا وكفروا وأشركوا في الدنيا {وَكَانَ حَقّاً} وواجبًا {عَلَيْنَا نَصْرُ} ونجاة وهداية {الْمُؤْمِنِينَ}.

الملخص: -

أشار تعالى لبعض سبل النجاة في الدارين، ولعجز الشركاء، وأسباب ظهور الفساد في الأرزاق في البر والبحر، ولبعض آياته تعالى وسننه.

(٤٨-٦٠) الإشارة لبعض آياته تعالى، وتأكيد أنّ الهداية والضلال له وحدة، والإشارة لحوار المؤمنين والكافرين يوم القيامة، والأمر بالصبر على الكافرين.

اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِى الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِئَايَتِنَا

فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

يؤكد تعالى حقِيقَةَ أنّه لا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته بضرب المثل فقال: {اللَّهُ} هو {الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ} كيف يشاء {فَتُثِيرُ} وتحرك {سَحَاباً} {فَيَبْسُطُهُ} وينشره {فِى السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ} فإمّا أن يكون مبسوطًا خفيفًا أو متوسطًا أو سميكًا، وفي ذلك إشارة للسحب المبسوطة بخلاف السحب الركامية، ثمّ أشار تعالى لشكلٍ آخر فقال: {وَيَجْعَلُهُ} كذلك {كِسَفاً} أي قطعًا متفرقًا {فَتَرَى} وترون {الْوَدْقَ} أي حبات المطر {يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ} أي من خلال السحاب {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} وأنزله تعالى على {مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ} يفرحون {يَسْتَبْشِرُونَ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} قانطين يائسين {فَانظُرْ} وانظروا {إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ} تعالى {كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} بالزروع والثمار، ثمّ ذكّر وحذّر تعالى من الآخرة فقال:

{إِنَّ ذَلِكَ} سبحانه وتعالى {لَمُحْيِي الْمَوْتَى} في الأجل المسمى عنده {وَهُوَ} تعالى {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} بكن فيكون، ثمّ بيّن شأنهم عند تغير الحال بسبب الشرك والذنوب والمعاصي فقال: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً} عذابًا {فَرَأَوْهُ} أي الخضرة والزروع {مُصْفَرّاً} هالكًا ذابلًا حطامًا {لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} ويقنطون ويتذمرون.

ثمّ أكّد تعالى فقال: {فَإِنَّكَ} أبدًا {لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} قلوبهم عن الهدى {وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء} والنداء {إِذَا وَلَّوْا} عنك {مُدْبِرِينَ} بظهورهم {وَمَا أَنتَ} أبدًا {بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ} بسبب كفرهم واعراضهم واستكبارهم لقوله تعالى في سورة البقرة: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ}۝٧ ثم أكّد تعالى فقال: {إِن تُسْمِعُ} وتهدي حقًا {إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِئَايَتِنَا} وحججنا وبراهيننا ومعجزاتنا وعظيم تدبيرنا {فَهُم} حقًا {مُّسْلِمُونَ} مؤمنون، والذين يزيدهم هدًى ويؤتيهم تقواهم لقوله تعالى في سورة محمد: {وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ}۝١٧.

ثم أشار إلى عظيم خلقه وابداعه وتدبيره فقال: {اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ} أي ومني يمنى، وماءٍ مهين، وقلة حيلة وتدبير {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} ونشاطًا، ولتبلغوا أشدكم ومنتهى قوتكم، لما متعكم به السمع والأبصار والأفئدة {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً} وهرمًا {وَشَيْبَةً} فـ {يَخْلُقُ} تعالى {مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ} بكل شيء {الْقَدِيرُ} على كل شيء، فاعبدوه واتقوه، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} في الأجل المسمى عنده {يُقْسِمُ

الْمُجْرِمُونَ} معتذرين عن كفرهم ونفاقهم وشركهم {مَا لَبِثُوا} في الدنيا {غَيْرَ سَاعَةٍ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {كَذَلِكَ كَانُوا} في الدنيا {يُؤْفَكُونَ} ويصرفون {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ} لهم {لَقَدْ لَبِثْتُمْ} حقًا {فِي كِتَابِ اللَّهِ} يتلى عليكم ويعظكم ويرشدكم ويضرب لكم الأمثال والسنن في الذين كفروا من قبلكم ويحذركم الآخرة {إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} {فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ} الذي كنتم تجحدون {وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ} ولا تؤمنون {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ} عن كفرهم {وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} ليتوبوا وينيبوا، ثم أكّد تعالى فقال: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ} والحجج والمعجزات والأدلة والبراهين ليؤمنوا {وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ} وحجة ومعجزة وبرهان {لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ} كاذبون {كَذَلِكَ} ولذلك {يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} والطبع من اللعن فيضل أعمالهم لقوله تعالى في سورة محمد: {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ}﴿١﴾ ثمّ حثّ تعالى المؤمنين قائلًا: {فَاصْبِرْ} واصبروا على أذى الكفّار والمنافقين والمشركين وعنادهم فـ {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ} بالبعث والحساب والجزاء {حَقٌّ} وصدقٌ وعدلٌ وثَبات {وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ} ولا يستخفُّ عقولكم وقلوبكم {الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} ولا يؤمنون وهم مستكبرون.

الملخص: –

أشار تعالى لبعض آياته، وأكّد أنّ له تعالى الهداية والضلال، وأشار لحوار المؤمنين والكافرين يوم القيامة، وأمر بالصبر على الكافرين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة لقمان ترتيبها (٣١) آياتها (٣٤)

(١-١١) القسم بآيات القرآن الحكيم، والإشارة لبعض صفات المحسنين والمُضلين وجزائهم، والتذكير ببعض آياته، والاستنكار على كفر الكافرين.

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

يقسم تعالى بـ {الٓمٓ} لما للحروف من أهمية بالغة لكتابة اللغة والعلوم، وأجلها القرآن العزيز وسنّة الرسول ﷺ، وجواب القسم الأول: {تِلۡكَ آيَاتُ} وبراهين وحجج ومعجزات وأدلة {الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} ذو الحكمة والحُكمِ والوثوق كما وردت المعاني في قواميس اللغة، وجواب القسم الثاني: أنّه {هُدًى} للمؤمنين والعالِمِين والعارِفين، وجواب القسم

الثالث: {وَرَحْمَةً} في الدنيا والآخرة بشرائعه وأحكامه {لِّلْمُحْسِنِينَ} في الدنيا قبل الآخرة، لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴿٩٧﴾ ثمّ بيّن تعالى صفات المحسنين فقال أولًا: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} فرائضها وما يستطاع من نوافلها، ثانيًا: {وَيُؤْتُونَ} ويعطون {الزَّكَاةَ} لمستحقيها الثمانية في قوله تعالى في سورة التوبة: {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿٦٠﴾ والغاية من فرض الزكاة توثيق العلاقات الاجتماعية، وأن يأمن الفقراء في المجتمع على حياتهم والأغنياء على ثرواتهم، ثالثًا: {وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} لا يشُكُّون فـ {أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى} ورشادًا ووعيًا وبصيرةً {مِّن رَّبِّهِمْ} {وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} الفائزون الموفقون في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴿٦٤﴾.

ثم استنكر تعالى قائلًا: {وَمِنَ النَّاسِ} أي ورغم كل تلك الفضائل للقرآن العزيز والبشارات للمحسنين إلّا أنّ من الناس {مَن يَشْتَرِى} ويتعلم ويُعلم الناس {لَهْوَ الْحَدِيثِ} ولهو الحياة الدنيا وزينتها، ثمّ بيّن تعالى غايتهم من ذلك فقال أولًا: {لِيُضِلَّ} الناس {عَن سَبِيلِ} وطريق وهدي ومنهج {اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} ولا فهم ولا دراية، وبخسرانه الدنيا والآخرة،

ثانيًا: {وَيَتَّخِذَهَا} أي ويتخذ آيات الله تعالى والحياة الدنيا {هُزُواً} ولعبًا وسخريةً فـ {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ} في الآخرة {مُّهِينٌ} شنيعٌ مُخزيٌ مُذلٌ، ومن سننه تعالى أن يضل أعمالهم في الدنيا لقوله تعالى في سورة محمد: {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ}(١) ثمّ أشار تعالى لبعض صفاتهم فقال أولًا: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا} وحججنا وأدلتنا وبراهيننا ومعجزاتنا {وَلَّى} عاصيًا معرضًا {مُسْتَكْبِراً} و {كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} و {كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً} وداءً صممًا {فَبَشِّرْهُ} في الآخرة {بِعَذَابٍ} مُخزٍ مُذلٍ شنيعٍ {أَلِيمٍ} وله في الدنيا معيشة قاسية قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}(١٢٤).

ثمّ أشار تعالى لنعيم الصالحين قائلًا: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ} في الآخرة {جَنَّاتُ} الفردوس {النَّعِيمِ} {خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا {وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً} وصدقًا وعدلًا {وَهُوَ} تعالى {الْعَزِيزُ} الواحد الأحد، الذي ليس كمثله شيء، والغالب في كل أسمائه وصفاته {الْحَكِيمُ} في خَلقِه ودينه وقضائه وقدره، ثمّ ذكّر تعالى ببعض أدلته وبراهينه فقال أولًا: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ} بعد أن كانتا رتقًا ففتقهما، ثم كانتا دخانًا، ورفعهما {بِغَيْرِ عَمَدٍ} كما {تَرَوْنَهَا} ثانيًا: {وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ} جبالًا بقدرٍ موزونٍ {رَوَاسِيَ} شامخات، ثمّ بيّن الغاية منها فقال: {أَن تَمِيدَ} أي لئلا تميل ولا تضطرب {بِكُمْ} ثالثًا: {وَبَثَّ} ونشر {فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ} أي من كل ما يدب على الأرض كقوله تعالى في سورة النور: {وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن

يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٤٥﴾ رابعًا: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} ومن كرمه أن يُؤتِي ثمره في أوانه على مر السنين، ثمّ تحدى تعالى قائلًا: فـ {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ} تعالى {فَأَرُونِي} يا من كفر وكذّب وأشرك ونافق {مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {بَلِ} الحقيقة أنّ {الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ} وعَمَهٍ وضياعٍ وتيهٍ واضحٍ جليٍ ظاهرٍ {مُّبِينٍ}.

الملخص: -

أقسم تعالى بآيات القرآن الحكيم، وأشار لبعض صفات المحسنين والمُضلين وبيّن جزائهم، وذكّر تعالى ببعض آياته، واستنكر كفر الكافرين.

(١٢-١٩) الإشارة لوصاياه تعالى للقمان، ووصايا لقمان لابنه.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ

﴿١٧﴾ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

أشار تعالى لتعليمه للإنسان ما لم يعلم فقال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا} ووهبنا {لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} ثمّ أشار تعالى لدلالات الحكمة فقال أولًا: {أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما وبينهما، وجعل الرزق للناس والدواب، ثمّ بيّن فضل الشكر فقال: {وَمَن يَشْكُرْ} الله تعالى على نعمه وتدبيره {فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} ومصلحتها في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾﴿٩٧﴾ {وَمَن كَفَرَ} وجحد وانكر نعم الله تعالى عليه {فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ} عن العالمين، ولهم المعيشة القاسية في الدنيا والعذاب في الآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾﴿١٢٤﴾ وهو تعالى {حَمِيدٌ} للحامدين الشاكرين.

ثمّ أشار تعالى لوصايا لقمان لابنه فقال: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ} ويرشده فقال أولًا: {يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ} شيئًا أبدًا، ثمّ بيّن مساوئ الإشراك فأكّد قائلًا: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ} لله تعالى {عَظِيمٌ} فهو تعالى خالق السماوات والأرض وما فيهما وبينهما، ومعطي كل شيء فيهما خَلقَهُ ثم هداه ليقوم بوظيفته في الدنيا، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه، ثمّ أشار تعالى لوصاياه للناس فقال: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ} ثمّ ذكر فضلهما عليه فقال أوّلًا: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ} تسعة أشهر {وَهْناً} وضعفًا إذ يتغذى على غذاء أمّه طيلة

الحمل حتى ولادته {عَلَى وَهْنٍ} هي خلقت وجبلت عليه بالنسبة للرجل، ثمّ أشار تعالى إلى مدة الرضاع فقال ثانيًا: {وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} ليعتمد في الأكل والشرب على نفسه، ثمّ ذكّر تعالى فقال ثالثًا: {أَنِ اشْكُرْ لِي} تدبير خلق الدنيا ووالديك ورزقهما، وخَلقُك في بطن أمك وتدبير رزقك، ثمّ قال رابعًا: {وَلِوَالِدَيْكَ} إذا قاما برعايتك طيلة صغرك حتى تبلغ أشدك، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: و {إِلَيَّ} في الآخرة {الْمَصِيرُ} خامسًا: {وَإِن جَاهَدَاكَ} بأقصى جهدهما {عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا} ثمّ أوصى لهما رغم شركهما فقال سادسًا: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً} وإن كانا مشركين، سابعًا: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ} ودين ومنهج {مَنْ} تاب و {أَنَابَ} ورجع {إِلَيَّ} في كل شئنه، ثمّ حذّر تعالى من الآخرة فقال: {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} للحساب والجزاء {فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} في الدنيا فأجازيكم عليه.

ثمّ أشار تعالى مرة أخرى لوصايا لقمان لابنه مبينًا دقّة علمه تعالى وجزائه، وذلك لتعزيز مراقبة الله تعالى في السِّر والعلن فقال ثانيًا: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ} أو تكن {مِثْقَالَ} ووزن {حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن} مخبئةً {فِي} وسط {صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} ليَجزِيَ بها، ثمّ أكّد لقمان رحمته تعالى فقال ثالثًا: {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} بعباده فلا يكلفهم في دينهم مالا يستطيعون، رابعًا: وهو تعالى {خَبِيرٌ} بخلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفيه الصدور، ثمّ أرشده لتعزيز العبودية لله تعالى فقال ثالثًا: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ} فروضها وما يستطاع من النوافل، ثمّ حثّه على تعزير الإصلاح في الأرض

فقال رابعًا: { وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ} الذي أمر الله تعالى ورُسله به، لتجد أثر ذلك في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة المزمل: {... وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}﴿٢٠﴾ خامسًا: {وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ} الذي نهى الله تعالى عنه، لأنّ السكوت عن المنكر يجلب العقوبات في الدنيا، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن حذيفة بن اليمان (رلع) عن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه، فلا يستجيب لكم". سادسًا: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} من بلاء وأذىً أو امتحانًا فـ {إِنَّ ذَلِكَ} كُله {مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} وصدق الهمم، سابعًا: {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} تكبرًا وفخرًا وخيلاءً، ثامنًا: {وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً} ولهوًا وعبثًا، فـ {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} تاسعًا: {وَاقْصِدْ} وتريث {فِي مَشْيِكَ} وسعيك في الدنيا ومعاملتك للناس، عاشرًا: {وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ} عند مخاطبتك الناس فـ {إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ} عند الله تعالى {لَصَوْتُ} ونهيق {الْحَمِيرِ} وفي ذلك إشارة الأدب مخاطبة الناس، رجاء قبولهم النصح والمعروف وتركهم المنكر.

الملخص: –

أشار تعالى لوصاياه للقمان، ووصايا لقمان لابنه.

(٢٠-٢٨) الإشارة لبعض ما سخره تعالى، ومحاجة الكافرين، وتأكيد أنّ الفلاح في الاستسلام لهديه تعالى، والإشارة إلى عظيم خلقه وعلمه.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

أشار تعالى لعظيم نعمه وفضله وتدبيره الخلق لمصلحة الناس فقال: { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم} ولمصالحكم كل {مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ} وأفاض {عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً} واضحة بيّنة كقوله تعالى في سورة النحل:{ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ
وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ
وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا
طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ
تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦.

ثمّ قال تعالى {وَبَاطِنَةً} ومن نعمه الباطنة قوله تعالى في سورة النحل:{ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ}١٧٨ ثم استنكر تعالى فقال أولًا: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ} منكرًا كل ذلك كفرًا وجحودًا وإلحادًا {بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} ثانيًا: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ} ليسعدكم في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}٩٧ {قَالُوا} معرضين مستكبرين: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} من عبادة الأوثان، فاستنكر تعالى قائلًا: {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ} هو الذي {يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}

في الآخرة، ولهم نكدُ عيشٍ في الدنيا لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾ ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ} بطاعته تعالى في كل ما أمر به ونهي عنه {وَهُوَ مُحْسِنٌ} في كل شئنه {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} المؤدية لسعادته في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ} وجزاء وتبعات {الأُمُورِ} فلا يكون شيئًا في السماوات والأرض إلّا بإذنه.

ثمّ أكّد تعالى أنّ الهداية والضلال بيده لعلمه حقيقة ما في الصدور قائلًا: {وَمَن كَفَرَ} وعصى وأعرض واستكبر عن هدي الله تعالى {فَلا يَحْزُنكَ} ولا يضيرك أبدًا {كُفْرُهُ} فـ {إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} يوم القيامة {فَنُنَبِّئُهُم} ونجازيهم {بِمَا عَمِلُوا} أحصاه الله ونسوه، ثم أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وما تُحيكه وتُكنّه وتُخفيه، ثمّ أشار لسننه فيهم قائلًا: {نُمَتِّعُهُمْ} في الدنيا {قَلِيلاً ثُمَّ} يوم القيامة {نَضْطَرُّهُمْ} ونرغمهم {إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} ثمّ أشار تعالى لتناقض حالهم في الدنيا قائلًا أولًا: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} فـ {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ} الحقيقة أنّ {أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} الحق وفي ضلال مبين.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {لِلَّهِ} ملك كل {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وما بينهما وفيهما {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ} الذي له ملك وملكوت السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وهو

تعالى {الْحَمِيدُ} للمؤمنين الشاكرين، ثمّ أشار تعالى لعظيم سعة علمه وابداعه وتدبيره فقال: {وَلَوْ أَنَّمَا} كل ما {فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ} فصارت {أَقْلامٌ} يكتب بها آيات ودلائل وبراهين الله تعالى، وما أحاط به علمه {وَالْبَحْرُ} أي السبعة محيطات حبرًا {يَمُدُّهُ} ويضاعفه لتلك الأقلام {مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ} أي سبعة محيطات أخرى لـ {مَّا نَفِدَتْ} ولما انقَضَت {كَلِمَاتُ} وأسرار خلق {اللَّهِ} في خلقه، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} غالبٌ في كل شئنه وأسمائه وصفاته، وليس كمثله شيء، ومعطي كل شيء خلقه وهداه، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه، ولا يقبل إلّا دينه وشرعه {حَكِيمٌ} في كل شئنه وقضائه وقدره وحُكمه وشرائعه، ثمّ جزم تعالى بسهولة بعث الناس للحساب قائلًا: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ} للآخرة جميعًا معشر الإنس والجن والدواب بالنسبة لعظمته {إِلاَّ كَ} إحياء {نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} ثمّ حذّر تعالى قائلًا: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} لكل خلقه عليم { بَصِيرٌ} بما يعملون.

الملخص: –

أشار تعالى لبعض ما سخره تعالى للناس، وفندّ حجج الكافرين، وأكد أن الفلاح في الاستسلام لهديه تعالى، وأشار إلى عظيم خلقه وعلمه وقدرته.

(٢٩-٣٤) الإشارة إلى بعض آياته تعالى، وضرب المثل لنكث الكفار إيمانهم، والتحذير من اليوم الآخر، والإشارة إلى سعة علمه تعالى.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

أشار تعالى لبعض آياته قائلًا أولًا: {أَلَمْ تَرَ} وألم تروا {أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ} ويدخل من طول {اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ} فيقصر طول النهار شتاءً {وَيُولِجُ} ويدخل ومن طول {النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} فيقصر طول الليل صيفًا، ثانيًا: {وَسَخَّرَ} لمصالحكم وكسب أرزاقكم {الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} بحساب دقيق دائبان لا ينقطعان، لتعلموا عدد السنين الحساب و {كُلٌّ} منهما {يَجْرِي} سابحًا في فلكه {إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} عنده تعالى، ثالثًا: {وَأَنَّ اللَّهَ بِـ} كل {مَا تَعْمَلُونَ} بصير {خَبِيرٌ} عليم، فهل من يفعل من ذلكم من شيء غيره تعالى؟ فـ {ذَلِكَ}

وتلك البراهين والآيات تشهد {بِأَنَّ اللَّهَ} تعالى {هُوَ الْحَقُّ} أولًا، ثانيًا {وَأَنَّ} كل {مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ} ثالثًا: {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ} الغالب على قضائه وأمره، المبدع المدبر للسماوات والأرض وما بينهما وفيهما، وهو تعالى {الْكَبِيرُ} العظيم الجليل في كل شأنه، ثالثًا: {أَلَمْ تَرَ} وألم تروا {أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى} وتسير {فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ} وقدرته وابداعه وتدبيره، فكذلكم {لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ} وبراهينه وأدلته ومعجزاته {إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَـٰتٍ} وأدلة وبراهين على أنّه تعالى هو الحقّ وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل، وفي ذلك لآيات {لِّكُلِّ صَبَّارٍ} على أوامره تعالى وشرائعه وحُكمه وتكاليفه، و {شَكُورٍ} لآلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا لنقض الكفار إيمانهم فقال: {وَإِذَا غَشِيَهُم} وأحاط بهم {مَّوْجٌ} عظيم {كَالظُّلَلِ} أي كالجبال من كل مكان {دَعَوُا اللَّهَ} وحده لا شريك له {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} من أعماق قلوبهم {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ} أي ناقضًا لدعائه وتضرعه {وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ} وعظيم قدرتنا ولطفنا {إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ} غدارٍ خوانٍ {كَفُورٍ} للطف ربه.

ثمّ حذّر تعالى من اليوم الآخر قائلًا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا} واخشوا وخافوا عقوبة {رَبَّكُمْ} في الدنيا {وَاخْشَوْا يَوْماً} في الآخرة يوم {لا يَجْزِى} ولا ينفع ولا يَغني {وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ} شيئًا {وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ} ولا شافعٍ {عَن وَالِدِهِ شَيْئاً} أبدًا، فـ {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ} بجزائه في الدنيا والآخرة {حَقٌّ} لقوله تعالى في سورة النساء: {مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴿١٣٤﴾} {فَلا تَغُرَّنَّكُمُ} ولا تخدعنكم {الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا} وزينتها وبهجتها {وَلا يَغُرَّنَّكُم} ولا يضلنكم {بِاللَّهِ} تعالى الشيطان الكذّاب الغدار {الْغَرُورُ}.

ثمّ أشار تعالى لسعة علمه وتدبيره وقضائه قائلًا أولًا: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} وأجلها ومرساها وأوانها، ثانيًا: {وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} والمطر لرزقكم ومصالحكم أينما ومتى شاء، ثالثًا: {وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ} للإنس والجن والحيوان والنبات، رابعًا: {وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ} يوم القيامة {مَّاذَا تَكْسِبُ} وتجازى {غَداً} في الآخرة {وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} بأجلها المسمى عند الله تعالى، فـ {إِنَّ اللَّهَ} بكل ذلك {عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

الملخص: -

أشار تعالى إلى بعض آياته، وضرب المثل لنكث الكفار إيمانهم، وحذّر تعالى من اليوم الآخر، وأشار لسعة علمه وتدبيره وقضائه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة السجدة ترتيبها (٣٢) آياتها (٣٠)

(١-٩) القسم بتنزيل الكتاب العزيز من رب العالمين، وبيان الغاية منه، والتذكير ببعض صفاته تعالى وآياته.

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

يقسم تعالى بثلاثة حروف من اللغة العربية لما للحروف من أهمية لكتابة اللغة والعلوم ، وأجلُّها القرآن العزيز وسنّة الرسول ﷺ قائلًا: {الٓمٓ} وجواب القسم أنّ هذا القرآن هو {تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ} ولا شكّ {فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} الذي له الخلق والأمر في السماوات والأرض، ولا يكون شيئاً في الكون إلّا بإذنه، ثمّ ردّ تعالى على مزاعم مشركي

العرب قائلًا: {أَمْ يَقُولُونَ} أنّ الرسول ﷺ {افْتَرَاهُ} أي جاء بالقرآن من نفسه، ثمّ نسبه كذبًا لله تعالى، فردّ تعالى عليهم قائلًا: {بَلْ هُوَ الْحَقُّ} لحقيقة هذه الحياة وخلق السماوات والأرض وما فيهما وبينهما، وخبر الأمم، والسنن التي مضت فيهم، وخبر الآخرة وجزاء المؤمنين والكافرين {مِن رَّبِّكَ} ثمّ أشار تعالى للغاية من التنزيل فقال أولًا: {لِتُنذِرَ قَوْماً} أي العرب الذين {مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} يبشّرهم وينذرهم عقوبة ربهم في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا، لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثانيًا: و {لَعَلَّهُمْ} بعد كل ذلك {يَهْتَدُونَ} إلى الحق فيؤمنون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} بعد أن كانتا رتقًا ففتقهما لقوله تعالى في سورة الأنبياء: { أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}﴿٣٠﴾ ثمّ كانتا دخانًا لقوله تعالى في سورة فصّلت: {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ}﴿١١﴾ وقضاهنّ سبع سماوات، وجعل في كل سماء أمرها، ثمّ بيّن تعالى مدّة خلقهما فقال: {فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ} من أيّامه تعالى ويومه تعالى كألف سنة مما يعده الناس لقوله تعالى في سورة الحج: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}﴿٤٧﴾ فكان خلقهما في ستة آلاف سنة من سني الأرض {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} أي دان له تعالى الخلق والأمر فيهما، ثمّ أكّد تعالى فقال أولًا: {مَا لَكُم} أبدًا

معشر المؤمنين {مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ} يهديكم وينصركم ويثبت أقدامكم، ثانيًا: {وَلا شَفِيعٍ} يشفع لأحدٍ يوم القيامة إلّا بإذنه {أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ} وتفطنون تؤمنون، ثالثًا: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ} قال النسفي في تفسيره أي يدبر الأمر لكل خلقه في السماوات والأرض، بأمره {مِنَ السَّمَاءِ} ليحكم ويقضي به {إِلَى الأَرْضِ} {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} ليقضي ويحكم بين خلقه {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} أي من سني الأرض، ف {ذَلِكَ} تعالى {عَالِمُ الْغَيْبِ} ماضيه ومستقبله {وَالشَّهَادَةِ} أي وحاضر الغيب وما يدور بين خلقه وهو تعالى {الْعَزِيزُ} الذي ليس كمثله شيء، والغالب في كل أسمائه وصفاته، والذي أعطى كل شيئ خلقه وصورته وخواصه وهُداه، ولا يقبل إلّا دينه وحُكمه وشرعه {الرَّحِيمُ} بخلقه فلا يعاجلهم بالعقوبة، وبالمؤمنين رؤوف رحيم، خامسًا: {الَّذِى أَحْسَنَ} واتقن وأبدع {كُلَّ شَىْءٍ} في السماوات والأرض {خَلَقَهُ} وصوَّره ومنحه خواصه وهداه، ثمّ أكّد تعالى قائلًا سادسًا: {وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ} أي آدم (ع‌س) {مِن طِينٍ} سابعًا:{ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} وذريته {مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ} ومني يمنى {ثُمَّ سَوَّاهُ} وصوره كما يشاء في بطن أمه {وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ} تعالى، سابعًا: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

الملخص: –

أقسم تعالى بتنزيل الكتاب العزيز من لدنه، وبيّن الغاية منه، وذكّر ببعض صفاته وآياته.

(١٠-٢٢) الإشارة لجدل الكافرين وأبطل حججهم، وبيان صفات المؤمنين وسننه تعالى في الكافرين وعقوبتهم.

وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

استنكر تعالى جحود الكافرين فقال: {وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ} أي فهل إذا متنا واندثرنا وكنّا فتاتًا في الأرض {أَإِنَّا} حقًا {لَفِي خَلْقٍ} وبعث {جَدِيدٍ} للحساب والجزاء،

فأكّد تعالى قائلًا: {بَلْ} إنّ الحقيقة من قولهم أنّ {هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ} يوم القيامة جاحدون {كَافِرُونَ} مكذّبون، ثم أمر تعالى رسوله ﷺ فقال: {قُلْ} وقولوا لهم معشر المؤمنين {يَتَوَفَّاكُم} ويميتكم ويقبض أرواحكم {مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ} من الله تعالى {بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} لوزن أعمالكم، والجزاء بما كنتم تعملون، ثمّ توعدهم تعالى قائلًا: {وَلَوْ تَرَى} يوم القيامة {إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ} ذلًا وخزيًا وحسرةً وندامة قائلين: {رَبَّنَا} الآن {أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} وآمنّا {فَارْجِعْنَا} للدنيا مرة أخرى لـ {نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا} قطعًا {مُوقِنُونَ} مؤمنون مصدقون، فيكون الرد عليهم كما قال تعالى في سورة المؤمنون: { قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ}﴿١١٠﴾.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} كما هدى تعالى الملائكة، والذين ليس لهم حساب ولا جزاء في الآخرة، ولكن اقتضت حكمته تعالى أن يمحصَّ المكلّفين من الإنس والجن ليتميّز المؤمن عن الكافر لقوله تعالى في سورة العنكبوت: {أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ}﴿٣﴾ ثمّ أكّد تعالى فقال: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ} والوعد {مِنِّي} لمن كفر بالله تعالى {لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وكان ذلك الوعد لمّا أمر تعالى إبليس بالسجود لآدم (ع‌س) لقوله تعالى في سورة ص: {قَالَ

رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴿٨٥﴾ {فَذُوقُوا} اليوم {بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا} للحساب والجزاء فـ {إِنَّا نَسِينَاكُمْ} وتركناكم في ضلالكم في الدنيا {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} المؤبد {بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وتكسبون.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا} ثمّ ذكر صفاتهم فقال أولًا: {خَرُّوا سُجَّداً} منقادين طائعين مذعنين لما أمروا به ونهوا عنه، ثانياً: {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} لا ينقطعون، ثالثًا: {وَهُمْ} أبدًا {لا يَسْتَكْبِرُونَ} عن عبادة ربهم، رابعًا: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} لقيام الليل والذكر، خامسًا: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً} في ثوابه وجزاءه، سادسًا: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} زكاةً وصدقةً، ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن} نعيم و{قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ويؤمنون، تحقيقًا لسنّته تعالى الخالدة بإسعاد المؤمنين في الدنيا والآخرة، وللكافرين المعيشة القاسية في الدنيا والخلود في النار في الآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴿١٢٤﴾.

ثم أكّد تعالى قائلًا: {أَفَـ} نجازي {مَن كَانَ مُؤْمِناً} يعمل الصالحات منتهيًا عن المنكرات {كَمَن كَانَ فَاسِقاً} معرضًا عاصيًا مستكبرًا، أبدًا {لا يَسْتَوُونَ} فـ {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً} ومستقرًا {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ويكسبون ويطيعون {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا} وكفروا وأعرضوا واستكبروا {فَمَأْوَاهُمُ} ونُزُلهم {النَّارُ} {كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ} في الدنيا {تُكَذِّبُونَ} ثمّ جزم تعالى بشقائهم في الدنيا قائلا: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى} أي في الدنيا لقوله تعالى في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ {دُونَ} وغير {الْعَذَابِ الأَكْبَرِ} في الآخرة، ثمّ بيّن تعالى الغاية من عقوبتهم في الدنيا فقال: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ويتوبون ويستغفرون وينيبون، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَمَنْ أَظْلَمُ} لنفسه {مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ} واستكبر {عَنْهَا} فـ {إِنَّا} جزما وقطعًا {مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} في الدنيا والآخرة.

الملخص: -

أشار تعالى لجدال الكافرين وأبطل حججهم، وبيّن صفات المؤمنين وجزائهم، وأشار لسننه تعالى في الكافرين وبيّن عقوبتهم.

(٢٣-٣٠) الإشارة للاستعداد لفساد بني إسرائيل الأول، ولبعض آياته تعالى، والاستنكار على تكذيب الكافرين، وتوعدهم الآخرة.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ

الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء
إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

بعد أن أشار تعالى في كثير من السورة المكية لتعنُّت بني إسرائيل وسوء أدبهم مع الرسل، أشار لرسوله ﷺ بالاستعداد لمجابهتهم في المدينة المنورة بعد فسادهم الأوّل، فما آمن بموسى (ع‌س) منهم إلّا قليل لقوله تعالى في سورة يونس :{ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ ...}﴿٨٣﴾ وكقولهم في سورة البقرة: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}﴿٥٥﴾ وكقولهم لموسى (ع‌س) في سورة المائدة: {قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ}﴿٢٤﴾ وكفرهم بعيسى (ع‌س) واتهامهم لمريم (ع‌س) بالفاحشة، وتبجحهم بقتل عيسى (ع‌س) لقوله تعالى في سورة النساء: { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ... }﴿١٥٧﴾ وتحريفهم التوراة عن مواضعه ومقاصده لقوله تعالى في سورة المائدة: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}﴿١٣﴾ وقد أكّد تعالى لرسوله ﷺ والمؤمنين بأنهم

سيفسدون في الأرض مرتين، وسيخرجهم المسلمون من المدينة المنورة بعد اعلانهم الفساد الأول لقوله تعالى في سورة الإسراء :{ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا}۝٥.

ومختصر فسادهم الأول كتمانهم حقيقة معرفتهم رسول الله ﷺ الذي يعرفونه كما يعرفون أبنائهم لقوله تعالى في سورة البقرة: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ}۝١٤٦ ونقضهم الميثاق العام بالإيمان برسول الله ﷺ وتوقيره ونصره، والذي أخذ على جميع الأنبياء لقوله تعالى في سورة آل عمران: {وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}۝٨١ ونقضهم الميثاق الخاص بهم بالإيمان برسول الله ﷺ وتوقيره ونصره، والذي أخذ عليهم على جبل الطور لمّا دعا موسى (ع‌س) ربه في قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ

وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴿١٥٧﴾ وتآمرهم مع مشركي العرب وغيرهم لاستئصال الرسول ﷺ من المدينة المنورة.

فقال تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} أي التورة {فَلا تَكُن} يا رسول الله ﷺ أبدًا {فِي مِرْيَةٍ} ولا أدنى شك {مِّن لِّقَائِهِ} أي من ملاقات تعنت واستكبار يهود في المدينة المنورة، ولذلك أبرم رسول ﷺ صحيفة الموادعة للمدينة المنورة لكل قاطنيها بما فيهم يهود المدينة المنورة لعلمه بما سيكون منهم من فساد، ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {وَجَعَلْنَاهُ} أي التوراة {هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} ثمّ أنصف تعالى الصالحين منهم فقال أولًا: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} ثانيًا: {وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} ويقتتلون، ثمّ قال تعالى عن بني إسرائيل {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} أي أولم يكن لهم واعظًا لإيمانهم وتوبتهم وإيمانهم {كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ} بسبب كفرهم وعصيانهم وهم {يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} بعد هلاك من كفر من الأمم، ف {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} ودلائل واضحات على مُضي سننه تعالى في الناس {أَفَلا يَسْمَعُونَ} ويؤمنون ويتقون.

ثمّ أشار تعالى لعظيم تدبيره وإتقانه وإبداعه فقال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ} أي الأرض القاحلة التي لا نبات ولا ثمر فيها، بتوجيه السحاب حيث يشاء تعالى {فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ} فيتقون

ويؤمنون، ثمّ استنكر تعالى نكرانهم واستهزائهم باليوم الآخر قائلًا: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ} أي بالبعث والحساب والجزاء {إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} حقًا بما تعدون {قُلْ} وقولوا {يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ} ولا يؤخرون ولا يستتابون {فَأَعْرِضْ} وأعرضوا {عَنْهُمْ} وعن تعنتهم، {وَانتَظِرْ} وانتظروا ما يحل بهم من سننه تعالى في الدنيا والآخرة فـ {إِنَّهُم} حتمًا {مُّنتَظِرُونَ} فسننه تعالى لا تتخلف لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

الملخص: -

أشار تعالى للاستعداد لفساد بني إسرائيل الأوّل، ولبعض آياته، واستنكر تكذيب الكافرين، وتوعدهم الآخرة.